الجمهورية اليمنية
وزارة التربية والتعليم
قطاع المناهج والتوجيه
الإدارة العامة للمناهج

الأدب والنصوص والبلاغة

للصف الثاني الثانوي

الجزء الثاني

المؤلفون

د. أمة الرزاق علي حُمَّد / رئيساً

د. أحمد قاسم الزمر
أ. أحمد هادي جمال الدين
أ. خالد محمد ملهي
أ. ليلى عبد الخالق ناجي
أ. محمد عبدالله محسن
أ. محمد مثنى الخيراني
أ. نصرة عبدالله الخضر

الإخراج الفني

التصوير : محمد حسين الذماري
الصف والتصميم : عادل عبده قاسم العفيفي
عبدالرحمن المهرس

تدقيق التصميم : حامد عبدالعالم الشيباني

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

النشيد الوطني

رددي أيتها الدنيا نشيدي ... ردديه وأعيدي وأعيدي
واذكري في فرحتي كل شهيدِ ... وامنحيه حُللاً مِنْ ضوءِ عيدي

رددي أيتها الدنيا نشيدي
رددي أيتها الدنيا نشيدي

وحدتي .. وحدتي .. يا نشيداً رائعاً يملأ نفسي ... أنت عهدٌ عالقٌ في كل ذِمّة
رايتي .. رايتي .. يا نسيجاً حِكْتُهُ من كل شمس ... اُخْلُدِي خَافِقَةً في كل قِمّة
أمتي .. أمتي .. اِمنحيني البأس يا مصدر بأسي ... واذخُرِيني لَكِ يا أكرمَ أمة

عشتُ إيماني وحبِّي أُمميًّا
ومسيري فوق دربي عربيا
وسيبقى نبضُ قلبي يمنيا
لن ترى الدنيا على أرضي وصيا

المصدر: قانون رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٦م بشأن السلام الجمهوري ونشيد الدولة الوطني للجمهورية اليمنية

أعضاء اللجنة العليا للمناهج

أ.د. عبدالرزاق يحيى الأشول.

د. عبدالله عبده الحامدي.	أ/ علي حسين الحيمي.
د/ صالح ناصر الصوفي.	د/ أحمد علي المعمري.
أ.د/ محمد عبدالله الصوفي.	أ.د/ صالح عوض عرم.
أ/ عبدالكريم محمد الجنداري.	د/ إبراهيم محمد الحوثي.
د/ عبدالله علي أبو حورية.	د/ شكيب محمد باجرش.
د/ عبدالله لملس.	أ.د/ داوود عبدالملك الحدابي.
أ/ منصور علي مقبل.	أ/ محمد هادي طواف.
أ/ أحمد عبدالله أحمد.	أ.د/ أنيس أحمد عبدالله طائع.
أ.د/ محمد سرحان سعيد المخلافي.	أ/ محمد عبدالله زبارة.
أ.د/ محمد حاتم المخلافي.	أ/ عبدالله علي إسماعيل.

د/ عبدالله سلطان الصلاحي.

قررت اللجنة العليا للمناهج طباعة هذا الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

في إطار تنفيذ التوجهات الرامية للاهتمام بنوعية التعليم وتحسين مخرجاته تلبية للاحتياجات ووفقاً للمتطلبات الوطنية.

فقد حرصت وزارة التربية والتعليم في إطار توجهاتها الإستراتيجية لتطوير التعليم الأساسي والثانوي على إعطاء أولوية استثنائية لتطوير المناهج الدراسية، كونها جوهر العملية التعليمية وعملية ديناميكية تتسم بالتجديد والتغيير المستمرين لاستيعاب التطورات المتسارعة التي تسود عالم اليوم في جميع المجالات.

ومن هذا المنطلق يأتي إصدار هذا الكتاب في طبعته المعدلة ضمن سلسلة الكتب الدراسية التي تم تعديلها وتنقيحها في عدد من صفوف المرحلتين الأساسية والثانوية لتحسين وتجويد الكتاب المدرسي شكلاً ومضموناً، لتحقيق الأهداف المرجوة منه، اعتماداً على العديد من المصادر أهمها: الملاحظات الميدانية، والمراجعات المكتبية لتلافي أوجه القصور، وتحديث المعلومات وبمايتناسب مع قدرات المتعلم ومستواه العمري، وتحقيق الترابط بين المواد الدراسية المقررة، فضلاً عن إعادة تصميم الكتاب فنياً وجعله عنصراً مشوقاً وجذاباً للمتعلم وخصوصاً تلاميذ الصفوف الأولى من مرحلة التعليم الأساسي.

ويعد هذا الإنجاز خطوة أولى ضمن مشروعنا التطويري المستمر للمناهج الدراسية ستتبعها خطوات أكثر شمولية في الأعوام القادمة، وقد تم تنفيذ ذلك بفضل الجهود الكبيرة التي بذلها مجموعة من ذوي الخبرة والاختصاص في وزارة التربية والتعليم والجامعات من الذين أنضجتهم التجربة وصقلهم الميدان برعاية كاملة من قيادة الوزارة والجهات المختصة فيها.

ونؤكد أن وزارة التربية والتعليم لن تتوانى عن السير بخطى حثيثة ومدروسة لتحقيق أهدافها الرامية إلى تنوير الجيل وتسليحه بالعلم وبناء شخصيته المتزنة والمتكاملة القادرة على الإسهام الفاعل في بناء الوطن اليمني الحديث والتعامل الإيجابي مع كافة التطورات العصرية المتسارعة والمتغيرات المحلية والإقليمية والدولية.

أ.د. عبدالرزاق يحيى الأشول

وزير التربية والتعليم

رئيس اللجنة العليا للمناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، . . .

أما بعد . فهذا هو الجزء الثاني من كتاب « الأدب والنصوص والبلاغة »للصف الثاني الثانوي بقسميه « العلمي والأدبي »، نقدمه لأبنائنا طلبة هذا الصفّ، والذي يعدّ امتداداً وتواصلاً لما تم أخذه في الصف الأول الثانوي في الفروع التي وسم بها الكتاب مع إضافة فرع رابع هو: العروض. وهذا الكتاب بجزأيه يعدّ لبنة في البناء المنهجي الذي قامت وتقوم بتشييده وزارة التربية والتعليم منهاجاً حديثاً مطوّراً للغة العربية يواكب المستجدّات، ويستشرف المستقبل، ويسهم في بناء أجيال يمنية واعدة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

ويحتوي هذا الجزء على مايمكن أن نسمِّيه مجالات أربعة نوضحها في الآتي:

المجال الأول: الأدب في العصر العباسي الثاني شعراً ونثراً رؤية تاريخيّة للحياة العباسية في هذا العصر، وما يموج فيها من أحداث وتغيّرات كان لها أثر بارز في الأدب، للوصول إلى تلمُّس بعض الظواهر الأدبية الجديدة أو المتطوّرة في هذا العصر، ومعرفة مدى تأثُّرها وتأثيرها في حياة العبّاسيّين الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة، ومن ثَمَّ معرفة الخصائص والمميّزات لشعر هذا العصر ونثره، مع إطلالة وافية مختصرة على حياة الشعراء والأدباء الذين تم اختيارهم كنماذج تمثّل هذا العصر لمعرفة الأسباب المؤثرة في حياتهم الشخصية، وإبداعاتهم الفنيّة.

المجال الثاني: النصوص الشعرية والنثرية لمجموعة من كبار الأدباء في العصر العباسي الثاني وأدباء الأندلس، كونها أمثلة مختارة تعطي رؤية واضحة لذلك العصر، وقد راعينا في اختيارها تعدّد الأغراض، ومكانة الأديب، وقلّة الكمّ مع التركيز على الكيف، والوحدة العضوية، ليتمكن المعلّم من السيطرة عليها، ويسهل على الطلبة فهمها وحفظها، واستيعاب مراميها اللغوية والأسلوبية، مصحوبة بتفسير المفردات والتراكيب اللغوية الصعبة، وإضاءة توضّح المعنى العام، وتحليل الصور والأساليب البلاغية، مع تذييل كل نصّ بأسئلة شاملة قد تتجاوز النصّ إلى التذكير ببعض المفهومات والقواعد النحوية والصرفية والإملائية والبلاغية للمحافظة على التكامل بين فروع المادة، وهو أسلوب تربوي يجعل الطالب منجذباً إلى كل فروع المادة دون استثناء.

المجال الثالث: البلاغة، وهي منحصرة في موضوعات كلها تنتمي إلى علم المعاني، وهي: التقديم والتأخير، والقصر، والإيجاز والإطناب والمساواة، مع إطلالة على أغراضها

البلاغية. وقد قدمت موضوعات البلاغة بأسلوب يسهل فهمها ابتداء بالأمثلة، ثم التوضيح، ثم الخلاصة، وأخيراً الأسئلة الشاملة.

المجال الرابع والأخير: العَرُوض، وفيه أربعة أبحر باعتبارها أمثلة على ما سبق دراسته، وهي: الكامل والبسيط والخفيف والمتقارب وكيفية تقطيع البيت الشعري، إضافة إلى توضيح بعض التغييرات التي تحدث في كل منها.

وهذا الجزء يُشَكِّل – مع الجزء الأول– بناءً واحداً متكاملاً، يؤدي غايته في تنمية قدرات الطلاب في الفهم، والتحليل، والاستنتاج، والتذوّق، والنقد، بصورة تتلاءم مع المستوى العمري والعقلي للطلبة.

وقد تمّ إعداد هذا الكتاب في ضوء مجموعة من الأسس التربوية المستوحاة من طبيعة تعليم اللغة العربية، في مجالات الأدب والنصوص والبلاغة والعروض، وأهدافها في المرحلة الثانوية، ومن خصائص نموّ الطلاب وحاجاتهم النفسية في هذه المرحلة.

وقد حرصنا أن تكون تلك الموضوعات محققة لأهداف هذه المجالات، كما حددتها وثيقة منهاج اللغة العربية، مع مراعاة دقة المعلومات، ووظيفيّتها، حتى تسهم في اكتساب الطلاب المهارات المطلوبة.

أما عرض المادة فقد انتهجنا فيه نهجاً يقوم على التطبيق الوظيفي، والمشاركة الفاعلة للطالب في الفهم، والمهارة، والتذوق، ارتقاءً بالأداء اللغوي من ناحية، وإحداث التكامل بين جوانب الخبرة اللغوية من ناحية أخرى؛ يتّضح ذلك من خلال كيفية العرض لكل موضوع من موضوعات الكتاب، ونوعية الأسئلة والتدريبات التي تعقبه إذ إنها تقيس مدى فهم الطلبة واستيعابهم لجوانب الموضوع، وتأخذ بأيدهم في رفق وأناة إلى تبيّن أفكاره وتمحيصها، وتذوق القيم الجمالية فيه، وتتيح لهم مجالا خصباً لتطبيق ماتعلموه من قواعد ومفهومات لغوية: نحوية وصرفية وإملائية وبلاغية وعروضية ضمن فروع اللغة العربية الأخرى.

ولايفوتنا أن نشير هنا إلى أن زملاءنا المعلمين والمعلمات هم الأساس في نجاح هذا المجهود، ودورهم هو الجزء المهم المكمِّل لعملية تطوير هذا المنهاج، والسير به إلى الغايات المنشودة.

والله من وراء القصد،،،

المؤلفون

الفهرس

الفهرس

المجال الأول :
الأدب والنصوص

- الأدب في العصر العباسي الثاني
  - الشعر .
  - النثر .
- الأدب الأندلسي .
  - الشعر .
  - النثر .

العصر العباسي الثاني

أولاً: الحياة السياسية

شهدت الخلافة العباسية في عصر الخليفة المعتصم تحولاً سياسياً مهماً إذ عمل الخليفة على نقل العاصمة من بغداد إلى سامراء بغية التخلص من قادة الفرس المسلمين الذين استشرى نفوذهم في بغداد على مجمل شؤون الدولة. ولتحقيق تلك الغاية ـ إلى جانب نقل العاصمة ـ هداه تفكيره إلى الاستعانة بالأتراك من المسلمين غير أن هذا الإجراء وإن كان قد أفلح في تقليص نفوذ الفرس – وما تبقى معهم من نفوذ عربي– لكنه أوقع الخلافة العباسية في قبضة الأتراك.

وما إن جاء عهد الخليفة المتوكل سنة ٢٣٢هـ – الذي بخلافته يبدأ العصر العباسي الثاني – حتى كان نفوذ الأتراك قد استشرى، وقويت شوكتهم، وتمكنوا من إحكام سيطرتهم على شؤون الحكم كافة وأصبح بيدهم مصير الخليفة العباسي ينصِّبون من أرادوا، ويعزلون أو يقيلون من لم يَرُقْ لهم.! فقتلوا الخليفة المتوكل، ونصبوا ابنه من بعده، وبعد وفاته بايعوا الخليفة المستعين بالله، وبعد فترة وجيزة قتلوه، وكذلك فعلوا مع الخليفة المعتز، والخليفة المهتدي.! انعكست هذه الاضطرابات في أروقة الحكم ـ سلباً ـ على مجمل حياة الناس، فتذمر عامتهم وخاصتهم، وانفجرت العديد من النزاعات المسلحة، كفتنة الزنج، وثورة القرامطة. وكادت الأمور تفلت من معاقلها لولا أن قيّض اللّه الخليفة المعتمد عام ٢٥٦هـ فردّ للخلافة هيبتها، وتمكن من القضاء على كبار قادة الترك، وأخمد فتنة الزنج، وعاد بالعاصمة إلى بغداد، وأمن الناس على حياتهم، وأموالهم. غير أن هذا المجد لم يدم طويلاً بفعل خطأ قاتل وقع فيه الخليفة المكتفي بالله حيث نصب أخاه الصغير المقتدر بالله ولياً للعهد؛ فأصبح بذلك خليفة للمسلمين سنة ٢٩٥هـ وهو لم يتجاوز الثالثة

عشرة !. استغل الأتراك هذا الحدث فسيطروا ـ من جديد ـ على مقاليد الحكم بحجة الوصاية على الخليفة الذي لم يبلغ الحلم، فاشتد جورهم أكثر من ذي قبل، وعادوا إلى ديدنهم القديم في تنصيب الخلفاء، ثم عزلهم، وقتلهم، بل زادوا على ذلك فسملوا أعين الخلفاء بعد عزلهم. !

أثَّر هذا السَّفه على هيبة الخلافة، وأدى إلى انفراط عقد الأقاليم، والولايات فاستقل (بنو بويه) بفارس، و(القرامطة) باليمامة والبحرين، و(الأخشيد) بمصر والشام، و(الفاطميون) بالمغرب. وأخيراً ضم بنو بويه بغداد نفسها إلى دولتهم سنة ٣٣٣هـ فسيطروا على مقاليد الدولة، ولم يبق للخليفة إلا الدعاء على المنابر ! فازدادت الأمور سوءاً وتفاقم حالها، وتمزقت وحدة الأمة إلى دويلات صغيرة مما جعلها تقع فريسة سهلة بيد أعدائها، فتمكن المغول من دخول بغداد سنة ٦٥٦هـ فأحرقوا الحرث وقتلوا النسل، وعاثوا فيها فساداً، وطويت بذلك دولة الخلافة العباسية التي دامت زهاء خمسة قرون.

وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى زوالها:

١ـ إضعاف النفوذ العربي وتجاهله.

٢ـ سيطرة بعض العرقيات على مقاليد الحكم وتهميش الآخرين.

٣ـ انصراف الخلفاء إلى اللهو، والاحتجاب عن الناس.

٤ـ تولية الخلافة لمن لم يبلغ الحلم.

٥ـ استقلال بعض الولايات عن دولة الخلافة.

ثانياً: الحياة الاقتصادية والاجتماعية

أدى ضعف الخلافة إلى انفلات السيطرة على مجمل مفاصل الدولة، فانتشرت الرشوة وعمَّ الفساد، واستحوذ المتنفذون على أموال الخراج، والضرائب. فخلق ذلك شريحة غنية مترفة، وشريحة ـ أخرى ـ واسعة تجد صعوبة في حياتها اليومية، ويثقل كاهلها الضرائب التي تزداد كلما احتدم الصراع على السلطة، أو هُدد وجودها من قبل بعض الفئات الاجتماعية التي كانت تثور على واقعها بين الحين والآخر.

وتوجد بين هاتين الشريحتين شريحة متوسطة محدودة دعت مقتضيات الحياة العصرية –حينها– لظهورها، وتتمثل في الصناع، والكتاب، والموسيقيين وصغار التجار وغيرهم. كما أن الواقع الحضاري أدى إلى انتشار العمران، والتوسع في الأسواق التي كانت تزدحم بالبضائع المحلية، والمستوردة، كما انتشرت صنوف الفنون المعمارية والغنائية وغيرها. وقد أدَّى وجود شريحة مترفة، ومتنفذة إلى ظهور سلوكيات غير محمودة ؛ حيث راجت تجارة الرقيق ـ أكثر من ذي قبل ـ وخاصة الجواري، وغلب كل ما هو حسي وفاضح من الفنون على ما سواه، ! فصاحب ذلك اشتداد موجة اللهو، وزادت حدتها أكثر مما كان عليه الحال في العصر العباسي الأول.

غير أن الغالبية العظمى من مجتمع ذلك العصر قد استهجنت ظاهرة المجون، وتمسكت بدينها، وتمثلت سلوكياته إلى حد كبير. وهناك شريحة واسعة من المجتمع كانت ردة الفعل لديها كبيرة تجاه الخلل السلوكي الذي استهوى البعض فألزمت نفسها بمجاهدات زهدية، وتقشفية عنيفة، فأسست لها عالماً جديداً قائماً على المحبة، والتطهر وأبعدت نفسها عن الشهوات التي تصادر شفافية الروح، وتلقيها في مستنقع اللذة والندم، فاكتظت المساجد ـ في أنحاء الدولة ـ بالعديد من هؤلاء النساك الذين استهوتهم حياة الشظف، والتبتل، والعبادة. كما أخذت تتسع في هذا العصر موجة التصوف حيث أصبحت هي الغالبة على شريحة الزهاد، فانشغل الجميع بحب الله عمن سواه، وصغر شأن الدنيا ومن فيها في أعينهم.

ثالثاً: الحياة العلمية والثقافية

على الرغم من الفوضى التي اتسمت بها أروقة الحكم في العصر العباسي الثاني إلا أن الآداب والعلوم شهدت تطوراً مذهلاً؛ حيث أولى الخلفاء ورجالات الدولة جلّ اهتمامهم بالعلماء، ورعوا شتى مجالات المعرفة، فازدهرت العلوم، وبلغت شأواً عظيماً، واتسع فيضها ليعم أصقاع الأرض، فاغترفت منه البشرية ما أرادت من نور المعرفة.

وسنتناول فيما يأتي بعض إنجازات المعرفة في هذا العصر:

أ- علوم اللغة والأدب:

مضى اللغويون والأدباء في هذا العصر على منوال أسلافهم في العصر الأول، فخرجوا إلى البادية، وأخذوا يتحرّون سلامة اللغة من مصادرها الأصلية من عرب البادية، فجمعوا دواوين الشعر القديم جمعاً علمياً عماده التوثيق، والتحقيق.

كما ظهرت معاجم تحصي كلمات اللغة إحصاءً دقيقاً تبين معانيها. ومن مؤلفات هذا العصر في هذا المجال على سبيل المثال لا الحصر:

كتاب «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيدمحمد بن الخطاب القرشي و «الكامل» للمبرد و «جمهرة الفقه» لابن دريد ونشطت علوم البلاغة والنقد، فتناولت الصنعة الشعرية، وعناصرها البيانية، والبديعية، ومفهوم الإعجاز في القرآن الكريم؛ ووصل هذان العلمان إلى أكمل صورة لهما في كتابي (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني. كما نشطت كتابة التاريخ نشاطاً واسعاً من تأليف في السير، إلى التأليف في تاريخ الأمم والمدن، ومن الكتب التي اشتهرت في هذا المجال: (تاريخ الرسل والملوك) للطبري، وكتاب (مروج الذهب) للمسعودي.

ب- العلوم الدينية:

برز في هذا العصر اتجاهان رئيسيان في تفسير القرآن الكريم، أو لهما التفسير بالمأثور الذي يمثله ابن جرير الطبري في كتابه «جامع البيان»، وهو يعتمد على ما أقره الأولون. والثاني التفسير بالرأي الذي يمثله الزمخشري في كتابه (الكشاف). كما شهد هذا العصر ظهور كتب الصحاح الستة المشهورة في السنة النبوية –على صاحبها أفضل الصلاة والسلام– ومنها صحيح البخاري وصحيح مسلم.

جـ- النهضة العلمية:

نشطت حركة الترجمة فأعيدت ترجمة الكتب التي نقلت إلى العربية من اللغات الأخرى التي كان يشوبها بعض الصعوبات اللفظية، وأخطاء في الترجمة التي اتسمت بالحرفيَّةَ. كما تُرجمت العديد من الكتب في الطب، والفلسفة، والمنطق عن اليونانية والسريانية. وشهد هذا العصر ميلاد أعلام كبار ارتكزت على علومهم الحضارة الإنسانية التي نشهدها اليوم مثل: الطبيب (أبي بكر الرازي) الذي ألف العديد من

الكتب في الطب، والرياضيات، والفلسفة، والطبيعيات، والمنطق، والكيمياء. وقد تُرجم الكثير منها إلى اللاتينية، حيث اعتمد الأوربيون حتى القرن الثامن عشر الميلادي اعتماداً كبيراً على كتاب (الحاوي) في الطب للرازي وهو أشبه بدائرة معارف طبية ضخمة.

كذلك من علماء هذا العصر الفيلسوف الطبيب (ابن سينا) الذي أحيا آثار (أرسطو) و(أفلاطون) في الفلسفة، و(أبقراط)، و(جالينوس) في الطب وأصبح كتابه في الطب المسمى (القانون) المرجع الرئيس في كليات أوربا الطبية حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

اتجاهات الشعر في العصر العباسي الثاني

استوعب الشاعر العباسي التيارات الفكرية الجديدة في عصره على اختلاف ألوانها من فلسفة ومنطق، وتمثلها علماً، وذوقاً، فأخذ يتعمق في المعاني نافذاً إلى دخائل أغوارها – دون أن ينحرف بشعره عن أصوله الموروثة – فخلق بذلك خواطر شعرية مبتكرة بحسب قدراته الموهوبة، والمكتسبة. من ذلك:

أ - التجديد في الصور والمعاني:

ومن التجديدات الشعرية في هذا العصر قول ابن بسام:

لا أظلم الليل ولا أدَّعي — أن نجوم الليل ليست تغورُ
ليلي كما شاءت فإن لم تزر — طالَ وإن زارت فليلي قصيرُ

فطول الليل وقصره عند الشاعر نسبيان متعلقان بزيارة من يحب. ويكون بذلك أضفى ظلالاً عقلية جديدة على المعنى، ونقض المعنى المسبوق، وأنصف الليل من الشعراء السابقين الذين ظلموه، وشكوا من طوله، بل اعتبر بعضهم أنه لا آخرَ لظلامه!

وابن الرومي: يرى أن احمرار الورد إنما هو خجل من تفضيل من لا يقدرون جماله من الشعراء الذين وصفوا الخدود بالتورّد، بينما وصفوا العيون بالنرجس، وأين الخدود من العيون روعة وجمالاً، فيصوغ هذا المعنى الجديد لحمرة الورد في حُلّة

جميلة من الألفاظ المنتقاة، فيقول:

خجلت خدود الورد من تفضيله ... خجلاً تورُّدها عليه شاهدُ
أين العيون من الخدود نفاسة ... ورياسةً لولا القياس الفاسدُ

ب - المنحى الفلسفي في الشعر:

ونلحظ قمة الامتزاج الذي حدث بين الثقافات العربية، والثقافات والفلسفات الأجنبية المختلفة في قول المتنبي وهو يمدح سيف الدولة:

ولك الزمان من الزمان وقايةٌ ... ولك الحِمامُ من الحِمامِ وقاءُ

فالزمان – عند المتنبي – يقي من الزمان، والموت فداء للموت. وهذا غموض من تأثير الفلسفة.

ونرى مقولة أرسطو: (من أفنى حياته في جمع المال خوفاً من العدم، فقد أسلم نفسه للعدم) قد ضمنها المتنبي في قوله:

ومن يُنفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر فالذي فعل الفقرُ

جـ- المعاني الجديدة في الهجاء:

تحول الهجاء في هذا العصر إلى فن الرسم المجسم، مثال ذلك قول ابن الرومي في وصف بخيل:

يُقتِّر عيسى على نفسِهِ ... وليس بباقٍ ولا خالدِ
فلو يستطيع لتقتيرِهِ ... تنفّس من منخرٍ واحدِ

وفي قول المتنبي وهو يهجو كافوراً:

يستخشن الخزَّ حين يلبسه ... وكان يُبرَى بظُفْرِه القلَمُ

د- التطور في الزهد:

غلب على شعراء الزهد في هذا العصر فكرة مناجاة الذات الإلهية، فتحول الزهد لديهم من الخوف والرهبة إلى الحب والرجاء، فتغنوا بالحب الإلهي عشقاً وهياماً بعد

أن سموا بإدراكهم، وتذوقهم للجمال والحب إلى ما فوق رغبات الحس ودواعي المتعة، فامتلأت قلوبهم ووجداناتهم بأقباس الحب الإلهي في سبيل تحقيق النشوة الروحية التي يعرج بها كل امرئ نقي السريرة إلى الله.

يقول أبو سعيد الخراز في حديثه عن حنين قلوب العارفين إلى نشوة لذة ذكر الله وحبه:

حنين قلوب العارفين إلى الذكر ... وتذكارهم عند المناجاة للسِّرِّ
همومُهم جوَّالة بمعسكر ... به أهل ودِّ الله كالأنجم الزهرِ
فأجسامهمْ في الأرض قتلى بحبهِ ... وأرواحهم في الحُجْبِ نحو العُلا تسري

ويقول ذو النون المصري: نحن في حمى الله يصرِّفنا كيف يشاء، ونسأله ألاّ يتركنا لتقديراتنا:

أنخنا في فنائك يا إلهي ... إليك مفوضين بلا اعتلال
فسسنا كيف شئت ولا تكلنا ... إلى تدبيرنا ياذا الجلال

أسئلة وتدريبات

١ – متى بدأ العصر العباسي الثاني؟

٢ – لِمَ استعان الخليفة المعتصم بالأتراك المسلمين؟ وهل أفلح هذا الإجراء في استقرار الدولة العباسية؟ علل ذلك.

٣ – من الخليفة الذي أعاد للدولة العباسية هيبتها؟ وكيف تحقق له ذلك؟

٤ – ما أهم الأسباب التي أدت إلى زوال الدولة العباسية؟

٥ – ما الأسباب التي مكنت الأتراك من العودة إلى الهيمنة على الحكم ثانية؟

٦ – ما الاتجاهان اللذان سادا في تفسير القرآن الكريم؟ وعلام اعتمد كل منهما؟

٧ – ما الظروف التي أدت إلى ظهور طبقة مترفة، وأخرى متوسطة؟

٨ – لِمَ اشتدت موجةُ اللهو وزادت حدتها؟

٩ – اذكر ما حققه الطبيب أبو بكر الرازي في المجال العلمي اعتماداً على ما ورد ذكره.

١٠– ما الآثار التي تركها الفيلسوف ابن سينا؟

١١– أُعيدت ترجمة بعض الكتب التي سبقت ترجمتها في العصر العباسي الأول. علل ذلك.

١٢– اختر من بين الأقواس الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

- ألف كتاب الحاوي في الطب (ابن سينا – الرازي – الطبري)
- كتاب (القانون) لابن سينا ألف في مجال: (الطب – الفلسفة – المنطق)
- مؤلف كتاب الكشاف هو: (الجرجاني – المبرد – الزمخشري)
- تمكن المغول من دخول بغداد وتدميرها سنة (٣٣٣هـ – ٦٥٦هـ – ٥٣١هـ)
- بدأ العصر العباسي الثاني في عهد الخليفة: (المعتصم – المتوكل – المكتفي بالله)

١٣– غلب على شعر الزهد فكرة الحب الإلهي – اذكر بيتين لشاعرين مختلفين يدلان على ذلك.

١٤– كيف صور ابن بسام الليل خلافاً لما قاله المتقدمون؟ بين ذلك مع الأستشهاد.

١٥– تأثر الشعر العربي بالثقافات المختلفة والفلسفات. اشرح ذلك مستشهداً بما جاء من الشاعر المتنبي.

١٦– تحول الهجاء إلى فن الرسم المجسم، وضح ذلك مستعيناً بما جاء عن ابن الرومي.

قنص وصيد

لعلي بن الجهم

التعريف بالشاعر

هو أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر، ينتهي نسبه إلى بني سامة، وهم بطن من قريش، حيث هاجر جده إلى البحرين، وهناك رزق بالأولاد، ثم ترك بعض ولده في البحرين، وهاجر إلى خراسان، ومنهم والد الشاعر، لكن الجهم ترك خراسان واستقر في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وفيها ولد الشاعر علي بن الجهم سنة ١٩٠هـ، وفيها نشأ وتعلم، وتفتَّقت قريحته الشعرية في سن مبكرة، وهو ما يزال في الكتَّاب.

نهل علوم العربية والشريعة من حلقات المساجد، وأتقن الشعر وعلم الكلام، سطع نجمه بين شعراء عصره في العشرين من عمره، وتعرف على أبي تمام فأصفاه وده، وقربه من الخليفة المعتصم، فنال عنده حظوة، وعُين على مظالم حلوان بالعراق، جمع بين الثقافتين اليونانية والعربية، ومال إلى مذهب أهل الحديث(١)، واختلف(٢) إلى الإمام أحمد بن حنبل، وكان يسأله عما أشكل عليه في المسائل الغيبية التي كانت موضع جدل بين الفرق في ذلك العصر، اتصل بالمتوكل، وكان شاعره المفضل، وكان يخصه بأسراره، وله فيه مدائح كثيرة.

شعر ابن الجهم موزع بين المدح والاستعطاف والرثاء والهجاء والغزل والوصف، والفخر والحكمة، تعد قصيدته الرصافية من أرق الشعر العربي غزلاً ومطلعها:

عيونُ المَهَا بين الرَّصافَةِ والجِسرِ ... جلبْنَ الهَوَى من حيثُ أدري ولا أدري

أعدْنَ ليَ الشوقَ القديمَ ولم أكنْ ... سلوتُ ولكن زدنَ جمراً على جمرِ

بيد أن هذه العلاقة الحميمة بين المتوكل والشاعر لم تدم طويلاً، فقد حرص الوشاة على إفسادها، وبسبب تلك الوشاية أدخل الشاعر عليّ بن الجهم السجن، وله فيه

(١) أهل الحديث جماعة من العلماء تخصصوا في البحث في الحديث واستنباط الأحكام منه.
(٢) اختلف إليه: كان يتردد عليه.

قصائد عدة كان أحسنها (داليته) التي لم يقل مثلها كما يقول النقاد، ومطلعها :

قالوا حبست فقلت ليس بضائرٍ حبسي وأيّ مهند لا يغمد

ولم يكتف خصومه بسجنه، بل زادوا في الوشاية حتى نفاه المتوكل إلى خراسان، وأمر واليه هناك بصلبه حياً لمدة يوم، ثم سجنه، فقام الوالي طاهر بن عبد الله بن طاهر بذلك؛ لكن الشاعر ظل يتوسل إلى المتوكل ويستعطفه إلى أن أفرج عنه طاهر بن عبد الله بأمر من المتوكل، ومكث أياماً في خراسان، ثم عاد إلى بغداد.

ولا بن الجهم أشعار في أغراض أخرى غير ما ذكر آنفاً. ومن هذه الأغراض، غرض الصيد والقنص .

وفي صفر من سنة ٢٤٩هـ خرج الشاعر في قافلة قاصداً ثغراً من ثغور المسلمين تعرّض لهجوم الروم. وفي « خساف »[١] خرج عليهم نفر من العرب الكلبيين؛ فهرب من كان في القافلة، وثبت لهم ابن الجهم، وقاتلهم حتى قتل – رحمه الله. وهذا النص من قصيدة قالها بعد أن أطلق من سجنه، وأقام أياماً مع طاهر بن عبدالله والي خراسان في رحلة صيد وتسلية، وهي من الطويل.

النص

١- وَطِئْنَا رياضَ الزَّعْفرَان وأَمْسَكَتْ عليْنا البزاةُ البيضُ حمرَ الدرارجِ
٢- ولم تَحْمِهَا الأدْغَالُ منَّا وإنَّمَا أَبَحْنا حماها بالكلابِ النوابجِ
٣- بمُسْتروحاتٍ سابحاتٍ بطونُها على الأرضِ أمثالَ السِّهامِ الزوالجِ
٤- ومُسْتَشْرِفاتٍ بالهوادي كأنها وما عَقَفَتْ منها رؤوسُ الصَّوالجِ
٥- فَلَيْنا بها الغيطانَ فَلْياً كأنها أناملُ إحدى الغانياتِ الحوالجِ
٦- فقل لبُغاة الصيد هل من مفاخرٍ بصيد وهل من واصف أو مخارجِ
٧- قَرَنَّا بُزاةً بالصقور وحوَّمَتْ شواهينُنَا من بعد صَيْدِ الزمامجِ

(١) خساف : برية بين بالس وحلب من أرض الشام .

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

البزاة: جمع البازي نوع من الصقور يستخدم في الصيد، **الزعفران**: نبات تصنع منه العطور وتصبغ به الثياب، **الدرارج**: جمع دراج وهو طير جميل المنظر ملون الريش، **الأدغال**: جمع دغل وهي الشجر الكثير الملتف، **النوابج**: جمع نابج وهو الكلب شديد النباح ، **مستروحات**: استروح الشيء تشممه، **سابحات**: وصف لكلاب الصيد يريد أنهن سريعات. **الزوالج**: السريعات، **مستشرفات**: رافعات الرؤوس، **الهوادي**: الأعناق، **عقفت**: عطفت وعوجت، **الصوالج**: جمع صولجان وهو عصا الملك، **فلَيْنا**: فحصنا، **الغيطان**: جمع غوط وهو ما انخفض واتسع منبته من الأرض المنبتة، **الحوالج**: جمع حالجة وهي الفتاة التي تعمل في الحلج وهوتخليص القطن وتنقيته من البذور، **مخارج**: مناهض يريد هل من مناهض يناهضنا في الصيد، **شواهيننا**: جمع شاهين وهو نوع من الصقور، **الزمامج**: جمع زمج وهو طائر دون العقاب وتغلب عليه الحمرة وهو من الجوارح التي يصاد بها.

إضـــاءة

كان الصيد من وسائل التسلية بين الخلفاء والأمراء في ذلك العصر.

والشاعر في الأبيات يصف عملية الصيد، ويصور وسائلها من الصقور والكلاب والخيول تصويراً بديعاً فيقول:

إننا حين وطئت أقدامنا حدائق الزعفران أبحناها بوسائل صيدنا، وأطلقنا عليها كلاب الصيد التي تشم رائحة فريستها عن بُعد، وتطوى الأرض إليها طياً يشبه في سرعته السهام المنزلقة في يوم مطير. ويشير إلى أنهم تتبعوا صيدهم بالخيول السريعة خلال الأشجار في القيعان والهضاب المخضرة: هضبة هضبة وشجرة شجرة، وكأنها غانية جميلة ناعمة الملمس تفلي بأناملها القطن لتخلصه مما شابه من البذور.

ثم يفاخر بهذه الطريقة من الصيد ويتحدى بغاة الصيد أن يصفوها، أو يمارسوها كما مارسها الشاعر وصديقه الأمير طاهر بن عبد الله . وهي طريقة متميزة يصعب

على الصيادين منافستهما فيها.

ويفاخر الشاعر – أيضاً – بأن أنواعاً من الصقور قد اشتركت في الصيد وليس نوعاً واحداً.

تحليل وتذوّق

الأبيات تزيح النقاب عن شاعر ضليع بمفردات اللغة، متمرس بأساليبها، قادر على توظيف صورها وتراكيبها، للإيحاء بدلالات عميقة دون اللجوء إلى الأساليب المعقدة.

فالبيتان: الأول والثاني يوحيان بأن الصيد والقنص والطرد كانت ممارسة محببة إلى الأمراء والخلفاء وعِلْيَة القوم.

وكانوا يملكون وسائل راقية من وسائل الطرد والصيد، كالخيول والصقور والكلاب المدربة على مثل هذا النوع من التسلية والاستمتاع بالحياة، وتوحي عبارة « وطئنا رياض الزعفران » بأن الشاعر والأمير لم يمارسا هذه التسلية في البراري والصحاري حيث الكر والفر، والشوك والأتربة، بل في رياض خضراء تنبعث منها روائح طيبة، وتتخللها جداول المياه، وهذه متعة لا تقل عن متعة الصيد. وانظر إلى ما يؤدي به التعبير « الدرارج » من أن هذا النوع من الطير نوع خاص، وليس كأي طير، فالهدف من القنص هو المتعة، وليس الحاجة إلى لحوم تلك الحيوانات أو الطيور.

ثم لنتأمل أسلوباً بلاغياً آخر هو أسلوب القصر بإنما الوارد في قوله: « وإنما أبحنا حماها بالكلاب النوابج » حيث قصر إباحة حمى تلك الرياض على أصوات الكلاب إذ يوحي هذا الأسلوب بأن هذه الأصوات كانت كافية لإخراج الطيور من أدغالها ومخابئها مستسلمة للصقور وغيرها من وسائل الصيد.

ويوحي البيتان الثالث والرابع بأن الطيور والوحوش باتت محاصرة من كل جانب، فالسرعة من ناحية، وقوة الشم من ناحية ثانية، وشدة الصوت من ناحية ثالثة، والاستشراف من ناحية رابعة، وهكذا فإن ذلك كله قد قيد تلك الوحوش والطيور، فلم تعد قادرة على الحركة أو الفرار، لأن هذه الوسائل قادرة على الوصول إليها أينما تكون.

وهذا الوصف جاء مشفوعاً بوسائل توضيحية بيانية كالاستعارة في وقوله: « سابحات بطونها » حيث شبه الجرى السريع لكلاب الصيد بالسباحة، فكأن الكلاب تسبح في الهواء ولا تجرى على الأرض، ثم أوضح تلك الصورة الاستعارية بصورة أكثر بياناً وهي أسلوب التشبيه « أمثال السهام الزوالج » حيث شبه سرعة الكلاب وانسياب جريها بالسهام الزوالج.

وحيث أراد الشاعر توضيح طول أعناق الخيول وتشكُّلهاعلى هذا النحو شبهها بما هداه إليه خياله، وهو صولجان الملك؛ إذ يوحي هذا التعبير بالعظمة والسلطان، والعلاقة واضحة بين طرفي التشبيه.

وفي البيت الخامس دلالة مؤكدة بالمفعول المطلق فَلْياً على أن الصيادين فحصوا بوسائلهم الأرض فحصاً دقيقاً للبحث عن الصيد في منعطفاتها كافة، وبين أشجارها، وتوضيحاً لهذا المعنى جنح الشاعر بخياله الواسع، فاكتشف صورة دقيقة ومعبرة عن شدة البحث، وهي صورة غانية جميلة ناعمة الملمس رقيقة الأنامل، تفلي القطن بأناملها كي تخلصه من أية شوائب تعكر صفو بياضه النقي.

وهكذا فعلت أدوات الصيد بتلك الرياض الغناء بحثاً عن الطير والوحوش لاصطيادها، وبهذه الدقة في التصوير لم يترك الشاعر في الأذهان أية نسبة من احتمال الخطأ في العثور على جميع أنواع الطيور إلا ظَفِر بها.

أسئلة وتدريبات

١- إلى أي القبائل ينتهي نسب الشاعر علي بن الجهم؟

٢- أين ولد؟ وفي أي عام؟

٣- أين تلقى تعليمه الأولى؟ ومتى بدأ قول الشعر؟

٤- ما العلاقة التي كانت تربطه بالإمام أحمد بن حنبل؟

٥- كيف تعرف على الخليفة المعتصم؟

٦- توزع شعره بين عدد من الأغراض الشعرية، اذكر ثلاثة منها.

٧- تنسب إليه القصيدة الرصافية. اذكر مطلعها، ولماذا نالت تلك الشهرة؟

٨- ارتبط الشاعر بعلاقة حميمة بالمتوكل الخليفة العباسي؟ فما الذي أفسد هذه العلاقة وأودى به إلى السجن؟

٩- وضح علاقة الشاعر بكل من: البحرين، وخراسان، وبغداد.

١٠- اجمع الكلمات الآتية: (درّاج، الباغي، البازي).

١١- هات مفرد الكلمات الآتية: (الغيطان، الحوالج، الصوالج).

١٢- وضح الفرق في المعنى بين عبارتي : (اختلف إليه) و (اختلف معه).

١٣- اذكر أسماء الطيور الجارحة التي استخدمها الشاعر في الصيد؟

١٤- كيف تكون كلاب الصيد سابحات بطونها؟ وضح الصورة من خلال تذوقك للبيت الثالث مع بيان قيمتها الفنية.

١٥- اشرح البيت الآتي، ووضح جمال الصورة التي عبر عنها الشاعر:

فلينابها الغيطان فلياً كأنها   أنامل إحدى الغانيات الحوالج

١٦- ما هو مقابل الطير الجارحة عند الحيوان؟

١٧- ما القيمة الفنية للتشبيه في قوله: « أمثال السهام الزوالج » في البيت الثالث؟

١٨- اختر الإجابة الصحيحة من بين القوسين فيما يأتي

أ - أصفاه الود « قربه، أخلصه، علمه ».

ب- كلمة (فلياً) في البيت الخامس « مفعول به، مفعول لأجله، مفعول مطلق ».

جـ- بطونها في (سابحات بطونها) « فاعل، نائب فاعل، مبتدأ ».

١٩- لِمَ كُتبت الهمزة في (وطئنا) على الياء ؟ وفي (رؤوس) على الواو؟

في المدح

لأبي الطيب المتنبي

التعريف بالشاعر

هو أحمد بن الحسين، كنيته أبو الطيب ولقبه المتنبي. لقب بذلك لأنه –كما قيل – ادعى النبوة في الشام، أو لقوله:

أنا في أمةٍ تداركها اللهُ غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ

ولد في الكوفة عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) من أبوين فقيرين، فقد كان أبوه سقاء. سافر وهو صغير إلى الشام، متنقلاً من البادية إلى الحاضرة. نال حظه من علوم اللغة والأدب، فأخذ يضرب في الأرض ابتغاء للرزق واكتساباً للمجد. ويمثل أبو الطيب الشعر العربي في أزهى قوته ونضجه الفني.

كان المتنبي منذ نشأته كبير النفس، عالي الهمة طموحاً، ملأ الدنيا وشغل الناس.

وشعر المتنبي شغل الدنيا فحظي باهتمام كبير، لم يحظ به شاعر آخر. فقد كان النقاد واللغويون ينظرون في شعره ملياً، فيظهرون معاني خفية لم تكن تخطر على بال المتنبي نفسه؛ مما جعله يقول عن أحد هؤلاء اللغويين الكبار: «ابن جني أعلم بشعري مني». ولذلك فإنه ليس غريباً أن يُنعت المتنبي بالشاعر العبقري الفذّ، وليس غريباً أن يجمع النقاد على أن شعر المتنبي قد حمل صوراً وتعبيرات جديدة لم تأتِ في شعر غيره من الشعراء السابقين أو المعاصرين له. وهذه الصور والتعبيرات كثيرة يكفي التمثيل لها بما يأتي:

ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يدركُهُ تأتي الرياحُ بما لا تشتهي السُّفُنُ

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً كنقصِ القادرين على التمامِ

تُريدينَ لقيانَ المعالي يسيرةً ولا بدَّ دونَ الشَّهدِ من إبرِ النَّحلِ

وشعر المتنبي غني بالحكم. قال النقاد القدامى: المعري فيلسوف، والمتنبي حكيم.

بدأت شهرة المتنبي مع اتصاله بأبي العشائر والي أنطاكية [١]، فأكرمه، ثم قدمه إلى سيف الدولة في حلب [٢]، مشيداً بمنزلته في الشعر والأدب، فضمه الأمير سيف الدولة إليه، وأمر بتعليمه الفروسية والطرد [٣] حتى لايفارقه في الحرب والسلم. قال في سيف الدولة مدائح كثيرة، ومن ذلك قوله عند دخول رسول الروم عام ٣٤٣هـ:

دروعٌ لملكِ الرومِ هذي الرسائلُ ... يردُّ بها عن نفسِهِ ويشاغِلُ

أرى كلَّ ذي ملكٍ إليك مصيرُهُ ... كأنّكَ بحرٌ والملوكُ جداولُ

لكن الأيام تتقلَّب، ولا تقف على حال، فقد حدث –بعد ذلك– بين المتنبي وسيف الدولة جفاء بسبب الحساد والوشايات، ثم فارق المتنبي حلب إلى مصر عام ٣٤٦هـ، وهناك أقام خمس سنوات، مدح فيها كافور الأخشيدي حاكم مصر.

بعد هذه المدة يئس المتنبي من أن يحظى بمجد في مصر، كما أن كافوراً أوجس منه خيفة لتعاليه في شعره، وطموحه إلى الملك، فهجاه المتنبي قبل أن يتجه إلى بغداد في قصيدته الدالية:

جودُ الرجالِ من الأيدي وجودُهُمُ ... من اللسانِ فلا كانوا ولا الجودُ

إني نزلتُ بكذابين ضيفُهُمُ ... عن القِرى[٤] وعن الترحال محدودُ

وبعد أن قضى فترة في العراق سافر إلى أرَّجان وشيراز (٥) حيث قابل عضد الدولة. وفي طريق عودته إلى العراق وقع في كمين نصبه له فاتك الأسدي، لأن المتنبي كان قد هجاه، فدافع عن نفسه ببطولة، ومات ميتة المقاتلين الشجعان سنة ٣٥٤هـ (٩٦٥م).

مناسبة النص

علم سيف الدولة أن الروم احتلوا ثغراً من ثغور الدولة المتاخمة لبلادهم يسمى الحدث، فسارع إليه، ونزل به في جمادى الآخرة سنة ٣٤٣هـ، ونازل جيش الروم الذي

---

(١) مدينة على نهر العاصي قرب مصبه، (٢) مدينة شمال سوريا، (٣) ملاحقة الصيد أو الخصم عند النزال، (٤) الكرم، (٥) منطقتان في فارس (إيران).

يقوده الدمستق، وهزمهم، وقتل وأسر منهم خلقاً كثيراً، ثم أقام في هذا الثغر حتى فرغ من بنائه، وقد أنشده المتنبي – الذي كان يصحبه – هذه القصيدة التي يمدحه فيها، والتي اخترنا منها هذا النص، وهي من الطويل.

النص

١) على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ
٢) وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صغارُها ... وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ
٣) إذا كان ماتنويه فعلاً مضارعاً ... مضى قبل أن تُلقى عليه الجوازمُ
٤) وكيف ترجِّي الرومُ والروسُ هَدْمَها[1] ... وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائمُ
٥) أتوك يجرّون الحديدَ كأنهمْ ... سَرَوا بجيادٍ ما لهنَّ قوائمُ
٦) إذا برقوا لم تُعرفِ البيضُ منهم ... ثيابُهُمُ من مثلِها والعمائمُ
٧) خميسٌ بشرقِ الأرضِ والغرب زحفُهُ ... وفي أُذُنِ الجوزاءِ منه زَمَازمُ
٨) تجمَّع فيه كل لِسْنٍ وأمةٍ ... فما تُفْهِمُ الحُدّاثَ إلا التراجمُ
٩) وقفتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ ... كأنكَ في جفنِ الردى وهو نائمُ
١٠) تمرُّ بكَ الأبطالُ كلمى هزيمةً ... ووجهكَ وضّاحٌ وثغرُكَ باسمُ
١١) ضممتَ جناحَيْهِم على القلبِ ضمةً ... تموتُ الخوافي تحتها والقوادمُ
١٢) حقرتَ الردينياتِ حتى طرحتَهَا ... وحتى كأن السيفَ للرمحِ شاتمُ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

العزائم: جمع عزيمة. وهي ما يعزم عليه الإنسان، **الآساس**: جمع أساس وهو ما يبنى عليه، **الدعائم**: جمع دعامة وهي عماد البيت، **البيض**: السيوف، **الخميس**: الجيش العظيم، **الجوزاء**: أنجمٌ في السماء، **الزمازم**: جمع زمزمة وهي الأصوات

(١) يقصد القلعة التي في ثغر الحدث المحادد لبلاد الروم.

الشديدة التي لاتفهم لتداخلها، **اللِّسن**: اللغة، **الحدّاث**: جمع لا مفرد له من لفظه وهو بمعنى متحدث أو متكلم، **التراجم**: جمع ترجمان، **الجناحان**:جانبا الجيش أي الميمنة والميسرة، **الخوافي**: أربع ريشات من جناحي الطائر تختفي عندما يضم الطائر جناحيه، **القوادم**: أربع ريشات في أول الجناحين، **الردينيات**: الرماح وسميت كذلك لأنها منسوبة إلى امرأة باليمامة اسمها ردينة كانت هي وزوجها تصنع الرماح.

إضــــاءة

يقول الشاعر: يأتي إنجاز الأمور على قدر طموح أصحابها وعلو هممهم؛ فالأمور الصغيرة تكون كبيرة في عين الإنسان صغير الطموح، والعكس، فإن الأمور العظيمة تبدو صغيرة هيّنة في عين الإنسان الذي قدره وطموحه عظيمان.

ويخاطب الشاعر سيف الدولة قائلاً : إذا نويت أمراً فإنك تفعله وتحققه دون أن يحول حائل. إذ كيف ترجو الروم والروس هدم قلعتك في ثغر (١) الحدث ما دامت قد قامت على هذا الطعن والقتال الشجاع.

حمى الروم أجسامهم بالحديد هم وخيولهم، حتى إن هذه الخيول بدت بلا أرجل أو قوائم. وكانوا في منظرهم هذا يبرقون حتى لايكاد الرائي يميِّز بين سيوفهم وما عليهم من حديد. كما كان جيشهم عرمرماً منتشراً في كل الأنحاء، حتى إن الأصوات المختلفة في جيشهم تصل إلى الجوزاء. واجتمع في هذا الجيش أناس من مختلف الطوائف والأجناس، فما يتفاهمون فيما بينهم إلا بواسطة مترجمين.

لقد وقفت يا سيف الدولة وقفة شجاع لاتخاف الموت، بل إنك قد كنت محاطاً بالموت. ورغم أن مرور الجرحى مهزومين يحبط المقاتل، إلا أن رؤيتك لهم لم تثن عزيمتك ولم تضعفها ، بل كنت مشرق الوجه مبتسماً واثقاً بنصر الله.

لففت أطرافهم على وسطهم فأهلكت الجميع بقتل أولهم وآخرهم. وتركت الرماح وازدريتها، لأنها سلاح الجبناء تصيب العدو من بعد، واتخذت السيف أداة شجاعة تحتم الاقتراب من العدو بلا تهيُّب.

---

(١) الثغر: منفذ للدولة على دولة أخرى.

تحليل وتذوق

بدأ الشاعر بتمهيد ناجح لموضوعه وهو إنزال الهزيمة وطرد الروم من أحد ثغور الدولة. وقد قدّم الجار والمجرور (على قدر) لأهمية قدر ذوي العزم، وجعل «العزائم والعظائم» معرفة لأنه يود أن يقول: إنها مرتبطة ولصيقة بشخص سيف الدولة.

يلتفت بعد ذلك إلى الهدف من الأبيات وهو مدح سيف الدولة خير من يستحق المدح والإعجاب، فهو لا ينوي شيئاً إلا نفذه، كناية عن سرعة الإنجاز (البيت الثالث).

ويأتي تساؤله في البيت الرابع حاملاً يأس الروم والروس من إمكانية التعدي على جزء من أرض الإسلام مع هذا البأس الشديد لسيف الدولة.

ويأتي التشبيه في البيت الخامس لتأكيد كثرة دروع الروم التي يظن الرائي أنها ستجعل جيش الروم ينتصر، ورغم ذلك فإنها لم تُجدِ أمام سيف الدولة، فاندحرت وتبدّدت.

وفي الأبيات السادس والسابع والثامن يؤكد هذه الكثرة والاحتشاد. لاحظ الصورة: «في أذن الجوزاء»، كما لو كان للنجوم أذن، على سبيل الاستعارة المكنية.

يلتفت الشاعر إلى الممدوح مرة أخرى التفاتة إعجاب شديد، دل عليه التشبيه الجميل« كأنك في جفن الردى وهو نائم» تعبيراً عن بسالة سيف الدولة غير المحدودة. وقال: «جفن الردى» تعبيراً عن أن الموت لم يكن بينه وبين سيف الدولة أي مسافة، بل إن الموت كان محيطاً به. ويستمر إعجاب الشاعر بسيف الدولة حين يقول إن رؤيته للأبطال الجرحى لم تجعله يبتئس، بل ظل محتفظاً بمعنويته، بساماً، وضاح الوجه.

يرجع الشاعر – بعد ذلك – في البيت الثاني عشر إلى الخصوم الروم مستخدماً التشبيه التمثيلي حين شبه سيف الدولة –يضغط ميمنة وميسرة الجيش على وسطه فيفنيهم– بشخص يضغط على جناحي طائر فيتحطم ويهلك.

ويختتم الأبيات بصورتين جميلتين، الأولى حين صور إهمال الرماح من قبل سيف الدولة كما لو كان ازدراء، والثانية الاستعارة المكنية« السيف للرمح شاتم».

أسئلة وتدريبات

١ – ما اسم الشاعر ؟ وما كنيته؟
٢ – في أي قرن عاش المتنبي؟ وما سبب مقتله؟
٣ – ما مكانة المتنبي في الشعر العربي؟
٤ – لماذا حظي المتنبي باهتمام كبير من قبل النقاد؟ وماذا قال هو عن ابن جني؟
٥ – ما الذي جعل المتنبي مختلفاً عن كافة الشعراء في عصره، وفي غيره من العصور؟
٦ – متى بدأت شهرته؟ وكيف كان اتصاله بسيف الدولة؟
٧ – ما الذي حدث بينه وبين سيف الدولة في حلب؟ وإلى أين غادر؟
٨ – بدأ الشاعر أبياته بالحكمة. فما قيمة ذلك؟
٩ – أين تجد سيف الدولة في البيت الثاني؟
١٠– ما قيمة الاستفهام في البيت الرابع؟
١١– ما الذي هدف إليه الشاعر من التشبيه في البيت الخامس؟
١٢– علام يعود «الهاء» في قوله: «مثلها» في البيت السادس؟
١٣– وضح الصورة «في أذن الجوزاء» وبم توحي كلمة «الجوزاء»؟
١٤– ما مفرد: «عظائم، قوائم، زمازم، حداث» ؟
١٥– ما مقابل : «العزم، حقرت، وضاح»؟
١٦– ما البيت الذي يُظهر أن جيش الروم مكون من طوائف عديدة؟
١٧– ما مدلول الصورة «كأنك في جفن الردى وهو نائم»؟
١٨– اشرح البيت الثاني عشر، موضحاً الصورة الفنية فيه.
١٩– هناك طرافة تعبيرية في البيت الأخير. وضحها.
٢٠– أعرب كلمة «كلمى» في البيت العاشر.
٢١– هات اسم الفاعل من الفعل«تنبأ»، والفعل المضارع من «يئس».
٢٢– ما التغيير الذي يحدث للفعل المضارع من الماضي «لقي»؟
٢٣– ضع علامة (✓) أو علامة (✗) أمام كل عبارة مما يأتي:

- قد يخرج الناقد بمعانٍ لم يقصدها الشاعر. ( )
- الأبيات ٥–٨ تظهر بشكل غير مباشر شجاعة سيف الدولة. ( )
- جرى الشعراء في العصر العباسي على البدء بالحكمة في قصائدهم. ( )

فخر وعتاب

للمتنبِّي *

مناسبة النصِّ

كان سيف الدولة الحمداني يعتزّ بالمتنبِّي، ويُقدِّمه على كل شاعر، وكان المتنبي يبادله الشعور ذاته، فأغاظ ذلك الشعراء والعلماء في حاشية الأمير، وذات مرّة جرى نقاش في مجلسه، فتطاول ابن خالويه على المتنبّي، واعتدى عليه، فلم يفعل سيف الدولة شيئاً لنصرة شاعره العظيم، وكأنه رضي بذلك التطاول، فغضب المتنبي، وأزمع السفر إلى مصر، فكتب إلى الأمير قصيدةً منها هذا النص ـ يمدحه فيها ويعاتبه، ويمجد نفسه، وهي من سيفياته(١)، التي جاءت من بحر (البسيط) .

النص

١) واحـرَّ قلبـاهُ ممن قلبُـهُ شَـبِـمُ	ومن بجسمي وحالي عندَه سَقَمُ
٢) مالي أكتِّمُ حُبًّا قَدْ برى جسدي	وتدّعي حبَّ سيفِ الدولة الأُمَمُ
٣) يا أعدلَ الناسِ إلا في معاملتي	فيك الخصامُ وأنت الخصْمُ والحكَمُ
٤) أعيذُها نظراتٍ منك صادقةً	أن تحسبَ الشّحمَ فيمن شحمُهُ وَرَمُ
٥) أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي	وأسمعَتْ كلماتي من به صَمَمُ !
٦) أنامُ ملْءَ جفوني عن شواردِها	ويسهرُ الخلقُ جرَّاها ويختصمُ
٧) وجاهلٍ مدَّه في جهله ضحكي	حتَّى أتته يدٌ فرّاسةٌ وفَمُ
٨) إذا رأيتَ نيوبَ الليث بارزةً	فلا تظنَّنَّ أنَّ الليث يبتسمُ

* سبق التعريف بالشاعر ص٢٣ .

(١) سميت بعض قصائد المتنبي بالسيفيات لأن فيها مدحاً لسيف الدولة الحمداني .

٩) ومرهفٍ سرتُ بين الجحفلين به حتّى ضربتُ.. وموجُ الموت يلتطمُ
١٠) الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرِفُني والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقَلَمُ
١١) يا من يَعِزُّ علينا أن نفارقَهُم وجدانُنا كلَّ شيءٍ بعدَكُمْ عَدَمُ
١٢) إن كان سرّكُم ماقال حاسدُنا فما لجرحٍ إذا أرضاكُمُ أَلَمُ!
١٣) هذا عتابُك إلا أنه مِقَةٌ قد ضُمِّن الدرَّ إلا أنه كَلِمُ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

قلباه: قلبي، والهاء فيها للسكت، **شَبِمُ** : بارد، **برى** : براه : جعله هزيلاً، **شواردها** :الشارد من الإبل: النافر، والمعنى هنا : الأشعار الذائعة الصيت، **جرّاها** : من أجلها، **فرَّاسة**: بطّاشةٌ، ومنه سمِّي الأسد فَرَّاساً، **يَعِزُّ**: يصعب، **وجْدانُنَا الشيءَ**: وجودنا إياه، **مِقَة**: محبّة.

إضاءة

تدور أبيات النصّ حول فكرتين: عتاب سيف الدولة على تقصيره نحو شاعره، وفخر الشاعر بأعماله ومآثره. الفكرة الأولى في الأبيات الأربعة الأولى، وفي الثلاثة الأخيرة، والفكرة الثانية فيما عداها.

يقول المتنبّي : واحرقة قلبي حبّاً وهياماً بمن قلبه بارد لا يهتمّ بي، ولا يشعر بمعاناتي، وأنا عنده عليل الجسم سقيم الحال ـ بحبِّه ـ وهو لا يلتفت إليَّ، ولا يعطيني المكانة التي أستحقُّها.

ومن أغرب الأمور أنني أكتم معاناتي ومكابدتي في حبِّه الذي أصاب جسدي بالنحول والهزال، في حين يدّعي أناس ـ مجرّد دعوى ـ أنهم يحبونه، مع أن حبهم ليس له أي أثر أو علامة تؤكّد صدقهم. وعلى الرغم من أن المحبوب ـ سيف الدولة ـ يعلم ذلك، ولكنه يتجاهل.

فيا من أنت تعدل في أحكامك مع كل الناس إلا معي، أنت موضوع الخصام، وأنا لا أشكوك إلا إليك، فأنت الخصم والحكم.

والمحب الصادق منا بيِّن، والمخادع بيِّن، ولا اعتقد أن سيف الدولة يخفى عليه ذلك، حتّى يسوِّي بين الشحم السليم، والورم الأليم ! فهو أرفع وأبعد من أن يكون نظره سطحيًّا؛ ومآثري وبطولاتي وأعمالي الجليلة واضحة، وغيري ليس كذلك، فشعري لروعته وجماله يراه حتى العميان، وكلماتي المعبِّرة اخترقت حتّى آذان الصُّمِّ، والدليل على ذلك أنني بعد أن أقول القصيدة أنام هادئ البال، والناس يسهرون لتحليل بلاغة تركيبها، وفك أسرار جمالها، وقد يحتدم الخصام بينهم بسببها.

وربّ جاهل تمادى في جهله عليّ منخدعاً بابتساماتي نحوه، حتى إذا لاحت الفرصةُ، بَطَشَتْ به يدي، وعصفت به كلماتي؛ فلو رأيت أنياب الأسد بادية فلا تحسب أنه يبتسم لك ! ومكاني في الشجاعة غير خافٍ ؛ فربّ سيفٍ بتّارٍ سرت به بين الجيشين الكبيرين، وضربت به الأعداء، والموت يتدافع حولي كالموج من كل اتّجاهٍ، ولا غرابة في ذلك، فركوب الخيل في الوغى، وإنارة الليل للكرم، وقطع المفاوز والفلوات الموحشة، والضرب بالسيف، والطعن بالرمح، والكتابة الأدبية البليغة، كل هذه الأمور تشهد لي بالسبق في ميادينها.

فيا من يصعب علينا فراقهم يجب أن تعلموا أن كل شيءٍ نجده من دونكم لامعنى له، فإذا كان قول حسّادنا فينا يرضيكم، ويدخل عليكم السرور فإنه لا يؤلمنا، فكل شيء من أجلكم يهون.

ويا أيها الأمير هذا عتابي لك، إلا أنه منطلق من حبٍّ خالصٍ، قد ضمّنتهُ أروع الدرر والجواهر في شكل كلمات.

تحليل وتذوّق

الأبيات من قصيدة رائعة. مزج الشاعر المتنبي فيها عتابه لسيف الدولة بالفخر بنفسه، ليلفت نظر المعاتَب إلى عدم تقديره للمزايا والمواهب التي يتمتّع بها الشاعر على الرغم من معرفته بها.

بدأ النصّ بالنداء «واحرّ قلباه» الذي يقصد به العتاب، واختار أداة الندبة (وا) لتوصل بصوتها الممدود حرقة الشاعر إلى قلب المعاتب، وساعد على ذلك حرف المدّ الألف والهاء نهاية المنادى، مما أعطاها مدى واسعاً في الصوت؛ ليكون تأثيرها

أقوى في الشعور.

وقد استخدم الطباق عندما قرن هذه اللوعة في قلبه « واحرّ قلباه » بالبرود في قلب من يحبّ « شَبِمُ » ليوضح أنه قوبل بأقلّ مما عنده، وذلك أبلغ في العتاب . وفي الشطر الثاني من البيت الأول وصف الشاعر الحال والجسم بالسقم فَشَمل الجانبين: الحسيَّ والمعنوي؛ ليبيِّن الأثر السلبي الذي أحدثه تجاهل الممدوح. واستخدام ضمير الغائب في (قلبه ـ عنده) لتخفيف حدّة العتاب..

في البيت الثاني استفهام « مالي أكتّم حبًّا .. » قصد به لفت الانتباه، وتنكير كلمة (حبًّا) يدل على عظم الحبّ الذي يكنّه، والدليل على ذلك نحول الجسم وهزاله: « قد برى جسدي » والمقارنة بين الحبِّ الصادق والحبِّ المدَّعَى يوحي بالاستغراب ممن لا يفرِّق بينهما .

في البيت الثالث نداء « يا أعدل الناس » قصد به استعطاف المخاطب، لعلّه يمدّ عدله إليه، وإسناد الخصومة والتحاكم إلى الخصم « أنت الخصم والحكم » فيه استعطاف أيضاً. وقد عدّ الشاعرُ الأمير خصماً ـ وهو ليس كذلك ـ ليوضِّح أنه السبب في تطاول الخصوم، وفيه مرارة العتاب من محبٍّ لحقه الأذى بسبب تفريط محبوبه.

في البيت الرابع انتقل الشاعر من الأسلوب الإنشائي إلى الأسلوب الخبري مفاخراً بما ميّزه الله به من مواهب .

وفي البيت الخامس الذي جاء كناية عن جودة الأدب والشعر الذي أبدعه الشاعر؛ حيث وصل إلى القاصي والداني، وسمع به القريب والبعيد لجودته، وعلوّ مرتبته، وإحكام بنائه .

في البيت السادس « أنام ملء جفوني » كناية عن الهناءة وهدوء البال تبيّن مدى ثقة الشاعر في جودة إبداعه الشعري ورضاه عنه، وفي قوله : « عن شواردها » استعارة مكنية ؛ حيث شبه الأبيات والقصائد ذائعة الصيت بالنوق الشاردة، ثم حذف المشبه به، وأبقى شيئا من لوازمه وهو الشرود، والاستعارة تبيّن مدى الشهرة والذيوع للقصائد التي أبدعها الشاعر .

وينتقل الشاعر إلى توضيح شجاعته ؛ حيث جاء في البيت الثامن تشبيه ضمني « إذا رأيت نيوب الليث .. » فقد شبه نفسه عندما يضحك لخصومه بالأسد عندما

يكشِّر عن أنيابه قبيل افتراس الفريسة، والبيت صار مثلاً يتردّد على الألسنة.

في البيت التاسع صورة بديعة في قوله : « وموج الموت يلتطم » حيث شبّه الموت في ساحة المواجهة بالبحر شديد الموج، استعارة مكنية توضح هول المعركة، وكثرة القتلى، والصورة توحي بشجاعة الشاعر .

أما البيت العاشر ففيه إيجاز رائع، وإجمال لأمهات الفضائل المرغوبة، المنبئة عن مؤهلات القيادة والسؤدد ؛ حيث جمع سبعة أشياء في مبتدأ وما عطف عليه، وأخبر عنها بخبر واحد وهو أنها تعرفه « الخيل والليل .. و .. و.. تعرفني » وكفى بالإيجاز بلاغة؛ فتركيز المعاني الكثيرة في كلمات قليلة يساعد على استيعاب المطلوب، ويدلّ على مقدرة غير عادية لدى الشاعر، وفي قوله : « الخيل والليل » جناس ناقص أضفى على البيت جمالاً موسيقياً .

في البيت الحادي عشر أسلوب مبالغة مقبولة في قوله: «وجداننا كل شيءٍ بعدكم عدمُ » فالذي يفارق أحب إنسان إلى قلبه مهما توفرت لديه المتع والمطالب، فإنها لن تعوِّضه ولن تغني عنه شيئاً، ووجودها كعدمها في غياب المحبوب. وفيها إيحاء بمدى حب الشاعر لسيف الدولة، وفي البيت مقابلة بين « وجداننا ـ عدم » جمّلت المعنى، والنداء : « يا من يعز علينا .. » للتحسّر، يدلّ على معاناة الفراق القاسية .

وفي البيت الأخير استعارة تصريحية في قوله : « قد ضُمِّن الدرّ » حيث شبه الكلمات التي نظمت منها القصيدة بالدرّ الثمين، فحذف المشبه وصرّح بالمشبه به، وهي تبيّن الجودة العالية..، والمستوى الرفيع الذي وصلت إليه هذه القصيدة : لفظاً ومعنى، وتركيباً وسبكاً، وصورة وإيحاءً.

أسئلة وتدريبات

١– اذكر نبذة عن حياة المتنبي ؟

٢– ما مناسبة هذا النص ؟

٣– بم بدأ الشاعر قصيدته ؟ وما رأيك في هذا الاستهلال مع التعليل ؟

٤– ما فائدة ذكر (الحال) بعد ذكر (الجسم) في البيت الأول ؟

٥– هل كان سيف الدولة خصماً للشاعر كما يفهم من البيت الثالث؟ وضح ذلك .

٦– اذكر الصفات التي افتخر بها الشاعر في البيت العاشر .

٧– ما الصور البلاغية في البيت التاسع ؟ وبم توحي ؟

٨– اختر الإجابة المناسبة من بين الأقواس فيما يأتي :

أ – معنى كلمة (شبم) : (بارد ـ حقود ـ معلول) .

ب– ضد كلمة (مقة) : (علاقة ـ كراهية ـ ألفة) .

جـ– النداء في قوله: « يا أعدل الناس » يقصد به :(المدح ـ الاستلطاف ـ الاستعطاف) .

د– كلمة (الخيل) مبتدأ خبره : (تعرفني ـ السيف ـ القلم) .

هـ– كتبت الهمزة في كلمة (ملء) على السطر لأنها متطرفة وقبلها : (ساكن معتل– ساكن صحيح – متحرك) .

٩– ما العلاقة الصرفية بين الكلمات : (سَقَم ـ ألم ـ صَمَم) ؟

١٠– بم يوحي الشطر الثاني في البيت الحادي عشر ؟

١١– ما البيت الذي صرّح فيه الشاعر أن القصيدة جاءت للعتاب ؟

١٢– لم سمِّي السيف مرهفاً ؟

١٣– قال أبو العلاء :

وإني وإن كنت الأخير زمانه … لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

وقال المتنبي هنا :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي … وأسمعت كلماتي من به صممُ

أ – ما الغرض الأدبي في كل من البيتين ؟

ب– أي المبالغتين مقبولة لديك ؟ ولماذا ؟

جـ– كيف ينظر الأعمى إلى شعر أبي الطيب المتنبي ؟

١٤– في النص أبيات مشهورة تتردد على الألسنة . اذكرها .

عِــزَّةُ أَسِـــيــر

لأبي فِــراس الحَـمْــداني

التعريف بالشاعر

هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدون العدوي التغلبي. ولد في الموصل عام ٣٢٠هـ، من بني حمدان، الأسرة العربية العريقة التي تنحدر من قبيلة تغلب، وتميزت بالإباء والتمسك بتقاليد الفروسية، وفي ذلك يقول أبو فراس:

لئن خُلق الأنامُ لحسوِ كأسٍ ومزمارٍ وطنبورٍ وعودِ

فلم يُخلق بنو حمدانَ إلا لمجدٍ أو لبأسٍ أو لجودِ

وقد نشأ الشاعر في حلب، فبعد مقتل أبيه رحلت به أمه ليتربى في حجر النعيم وأبهة السلطان في كنف ابن عمه وزوج أخته سيف الدولة (علي بن عبدالله بن حمدان) الأمير الذي استقل بحلب وثغورها بعد ضعف الدولة العباسية وقيام الدويلات في الأقاليم، وإن ظل يخطب باسم الخليفة العباسي. وهو الأمير الذي ظل يتصدى للروم أكثر من ستين سنة.

كان بلاط سيف الدولة بيئة ثقافية تضم نخبة من فلاسفة القرن العاشر (الرابع الهجري) وأدبائه وعلمائه، منهم أبو نصر الفارابي، وأبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني، وأبو الطيب المتنبي شاعر العرب الكبير، وعالم اللغة ابن خالويه...

وفي هذا الجو المفعم بالفروسية والثقافة تربى أبو فراس، فشب فارساً مغواراً وشاعراً متميزاً، جمع بين مجد السيف والقلم، وكان يربأ بنفسه من أن يكون مداحاً أو شاعراً متكسباً بشعره، يقول:

فخرتُ بنفسي وامتدحتُ عشيرتي وما أنا مداحٌ ولا أنا شاعرُ

وقد ذاع صيته ولهجت بذكره الألسن، وحظي لدى سيف الدولة الذي قربه واصطحبه في غزواته، ثم ولاه على « منبج » القريبة من بلاد الروم البيزنطية (تركيا اليوم)، فذاد عنها وحماها، وصمد في وجه الأعداء مرارا، ولكنه فوجئ بزحف الروم

سنة ٣٣٨ هـ، فدافع مع من كان معه من الحرس دفاع الأبطال حتى أُثخِن بالجراح، واقتيد أسيراً إلى « خرشنة »، يقول في ذلك:

إن زرتُ خرشنةً أسيراً ... فلقد حللتُ بها مُغيراً

ثم نُقِل إلى القسطنطينية، ولبث في السجن بضع سنين قال فيها أجمل قصائده وسميت بالروميات، وهي قصائد تنضح بالأسى والألم، هتفت من خلالها روح بطل أسير كان ملء السمع والبصر، فإذا به مهيض الجناح، يعاني من ذل القيد، ويكتوي بنار الشوق، بعثها من أسره في بلاد الروم إلى سيف الدولة وإلى أمه وصحبه، يعاتب فيها سيف الدولة على تأخره عن افتدائه، ويصور فيها شوقه إليه وحبه له، كما في قوله:

وقد كنتُ أخشى الهجرَ والشملُ جامعٌ ... وفي كلِّ يومٍ لفتةٌ وخطابُ

فكيفَ وفيما بيننا ملكُ قيصرٍ ... وللهجرِ حولي زخرةٌ وعبابُ

فليتك تحلو والحياةُ مريرةٌ ... وليتك ترضى والأنامُ غضابُ

وليت الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ

ويبث خشيته من أن يموت في غير ساحة المعركة:

أُناديكَ لا أني أخافُ مِن الردي ... ولا أرتجي تأخيرَ يومٍ إلى غدِ

ولكنني أختارُ موتَ بني أبي ... على صهوات الخيلِ غيرَ مُوَسَّدِ

كما كان – في رومياته – يطلب من أمه أن تتذرع بالصَبر، ومن أهله وصحبه أن يساعدوا في افتدائه، ويطلب إلى الشامتين ألا يُسروا بأسره...

وعندما أتيح لسيف الدولة أن يفتديه، بادر إلى افتدائه مع رفاقه سنة ٣٥٥هـ وفي السنة التالية لخروجه من السجن مات سيف الدولة، وخلفه ولده أبو المعالي، ثم حدث أن استولى أبو فراس على حمص – بما عرف عنه من حب المجد والسلطة – فخرج له أبو المعالي بجيشه، ودارت معركة بينهما قتل فيها أبو فراس سنة ٣٥٧هـ.

وقدخلف أبو فراس شعراً غزيراً بالقياس إلى حياته القصيرة، وهو شاعر فخر ووجدان، يقول شعره بعفوية الفارس وصدق شعوره، وكان الصاحب بن عباد يقول:

(بُدئ الشعر بملك وختم بملك) يقصد امرأ القيس وأبا فراس.

والنص الآتي من قصيدة اجتمعت فيها معظم المعاني التي ترددت في سائر

الروميات، فهو مشتاق إلى أهله وأحبابه، ويعاتب قومه، ويفتخر، ويهجو أعداءه الروم ... وقد نظم القصيدة يرد عليهم حين قالوا: ما أسرنا رجلاً وخلينا عليه ثيابه وعدة حربه إلا أبا فراس...

والقصيدة من البحر الطويل.

النص

١) أراكَ عصيَّ الدمعِ شيمتُكَ الصبرُ	أما للهوى نهيٌ عليكَ ولا أمرُ
٢) بلى أنا مشتاقٌ وعندي لوعةٌ	ولكن مثلي لا يُذاعُ له سرُّ
٣) إذا الليلُ أضواني بسطتُ يدَ الهوى	وأذللتُ دمعاً من خلائقه الكِبرُ
٤) تكادُ تضيءُ النارُ بين جوانحي	إذا هي أذكتْها الصبابةُ والفكْرُ
٥) أُسرتُ وما صَحْبي بعُزْلٍ لدى الوَغى	ولا فرسي مُهْرٌ ولا ربُّه غُمْرُ
٦) ولكنْ إذا حُمَّ القضاءُ على امرئٍ	فليس له برٌّ يقيه ولا بحرُ
٧) وقال أُصَيْحابي الفرارُ أو الردى	فقلتُ هما أمران: أحلاهُما مُرُّ
٨) يمنُّونَ أنْ خَلَّوا ثيابي وإنما	عليَّ ثيابٌ من دمائهِمُ حُمْرُ
٩) وقائمُ سيفٍ فيهمُ اندقَّ نَصْلُهُ	وأعقابُ رمحٍ فيهمُ حُطِّمَ الصَّدْرُ
١٠) سيذكرُني قومي إذا جَدَّ جِدُّهم	وفي الليلةِ الظلماءِ يُفتقدُ البدرُ
١١) ونحنُ أناسٌ لا توسطَ بيننا	لنا الصدرُ دونَ العالمينَ أو القبرُ
١٢) تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا	ومن يخطبِ الحسناءَ لم يَغلُها المَهرُ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

عصيَّ الدمع: دمعه عاصٍ فهو لا يبكي، **شيمتك**: خلقك وطبعك، **اللوعة**: حرقة الحب، **أضواني**: أضعفني، **خلائقه**: طبائعه، **جوانحي**: الجوانح هي الأضلاع التي تحت عظام الصدر، **أذكتها**: زادتها اشتعالاً، **الصبابة**: رقة الشوق وحرارته،

عـزل: بلا سـلاح، **المُهر**: ولد الفرس، **ربه**: صاحبه، **غُمر**: قليل الخبرة والتجربة، **حُمَّ**: قُضي ونزل، **يـمنون**: من الـمـن وهو تكدير المعروف بالفخر به، **جد جدهم**: عظم اجتهادهم، **يفتقد**: يتضح فقدانه فيطلب، **الصدر**: المقدمة والمراد الشرف والمكانة الرفيعة.

إضـــــاءة

يجرد الشاعر من نفسه شخصًا ويخاطبه قائلا: أراك صبوراً لا تبكي، أليس للهوى سلطان عليك؟ ثم يجيب قائلا: بلى أنا مشتاق، وأتحرق شوقاً، ولكن من هو في منزلتي ومكانتي لا يبدي آلامه لأحد، فإذا أسدل الليل ستائره عليَّ ضعفتُ وخانني الصبر، وأطلقت لهواي العنان، وذرفت الدمع الغزير!، وأجد النار التي في صدري توشك أن تضيء إذا زادها الشوق والتفكير اشتعالاً.

ثم ينتقل الشاعر لتبرير مسألة أسره، فيقول: لقد أسرت، ولم يكن أصحابي عزلا من السلاح، وليس فرسي مُهرا صغيرا، ولا راكبه حديث عهد بالمعارك... ولكنه القضاء والقدر، إذا نزل بامرئ فلا مفر منه. وفي أثناء المعركة عندما صاح أصحابي: ليس أمامنا إلا الفرار أو الموت، قررت الثبات وقلت لهم: كلا الأمرين مر.

ثم يرد على الروم إذ يَعْتَدُّون بأن خلوا عليه ثيابه وبقية سلاحه قائلاً: ليس عليّ إلا ثياباً حمراً من دمائكم، وبقية سيف تكسر نصله في أجسادكم، وبقية رمح تحطمت مقدمته في جسومكم!.

ويعاتب قومه الذين تقاعسوا عن افتدائه قائلاً: سيذكرني قومي إذا جد الجد وآن أوان الكفاح، كما يتذكر الناس البدر في الليلة المظلمة، ويفتخر بنفسه وعشيرته فيقول: إننا قوم لا نعرف التوسط، فإما أن نكون في مقدمة الناس قاطبة، وإما أن نموت ونبذل نفوسنا رخيصة في سبيل المجد والشرف والرفعة، كما يفعل من يخطب امرأة حسناء، فلا يبالي بغلاء مَهْرِها.

تحليل وتذوق

تنساب أبيات القصيدة من غير تكلف أو صناعة لفظية، نابعة من شاعرية أصيلة صقلها الأسر، وإحساس مرهف بَلْوَره العذاب.

في البيت الأول يخاطب الشاعر نفسه وكأنه يخاطب شخصاً آخر لايعرفه، منكراً على نفسه انحباس الدمع في عينيه، وهو الأمير العاشق، ففي قوله: «عصي الدمع» يشبه الدمع بالإنسان يعصي ويطيع، ثم يحذف المشبه به ويأتي بصفاته، فيما يعرف بالاستعارة المكنية، كما نجد المطابقة بين «أمر، نهي».

في البيت الثاني يجيب على الاستفهام الذي أورده في البيت الأول ليزيد من توضيح المعنى، وليتحول إلى ضمير المتكلم، وإن كان الغرض من الاستفهام التعجب، وقد اختار كلمة «مثلي» ليوحي بتميزه عن غيره من الناس العاديين، وبين كلمتي «يذاع، سر» مطابقة.

وتتعدد الاستعارات المكنية في الأبيات، ففي البيت الثالث يوضح الشاعر حقيقة حاله، فتأتي الاستعارة المكنية «الليل أضواني» وفيها تشخيص لليل أكسب المعنى تأثيراً، وأخرى في قوله: «يد الهوى» حيث شبه الهوى بإنسان وحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه هو اليد، وكذا قوله: «وأذللت دمعاً»، وفي هاتين الاستعارتين نلمح سيطرة الشاعر على نفسه، فهو الذي بسط يد الهوى وأذل الدمع، وينمي هذا التشخيص للدمع فيقول: «من خلائقه الكبر»، وقد جاءت كلمة «دمعاً» نكرة لتدل على الكثرة.

أما في البيت الرابع فقد شبه الشوق بالنار، وحذف المشبه وذكر المشبه به، وهي استعارة تصريحية، وفي الشطر الثاني يعود للاستعارة المكنية في قوله: «أذكتها الصبابة والفكر».

ثم يبرر الشاعر حادثة الأسر في البيتين: الخامس والسادس بأسلوب عفوي مباشر، وإن كان يوحي بالفخر بنفسه وبفرسه وبأصحابه، ويبرز إيمانه بقضاء الله وقدره، وقد زاد المعنى وضوحاً وقوة المطابقة بين «بر وبحر».

وفي البيت السابع إيحاء – أيضاً – بالفخر بشجاعته في المعارك مهما كانت

النتائج، فحين يغريه أصحابه بالفرار يختار الاستبسال والثبات، وفي اختياره لكلمة « أصيحابي » بالتصغير إشارة إلى قلة من بقي معه من المقاتلين، وقد زاد من جلاء المعنى ذكر المقابلة في: « الفرار، الردى »والطباق في « أحلى، مر ».

وتأتي الكناية « عليّ ثياب من دمائهم حمر » في البيت الثامن، بالإضافة إلى البيت التاسع، لتختزل كل تاريخه النضالي في مقارعة هؤلاء الغزاة الطامعين وتوحي بما يريده من فخر بشجاعته وطول بلائه.

أما قوله: « وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر » في البيت العاشر فقد جرى مجرى الأمثال، وهو تشبيه تختلف صورته عن صور التشبيه المألوفة، إذ يُلمح ضمناً في الكلام، ولذلك سُمي التشبيه الضمني، وفيه شبه نفسه بالبدر الذي لا نشعر بقيمته إلا في الليلة الظلماء.

وفي البيتين الأخيرين يفتخر بنفسه وبقومه ملخصاً فلسفتهم في الحياة، فتأتي المقابلة في البيت التاسع بين « الصدر » و « القبر » لتؤكد عدم التوسط. ويعود إلى التشبيه االضمني في البيت الأخير، حيث شبه المعالي بالحسناء ونفوسهم بالمهر ليؤكد المعنى نفسه من الحرص على المجد والعزة والشرف مهما كانت التضحيات.

وهكذا نلمح في هذه الأبيات بعضاً من خصائص شعر أبي فراس، كالسهولة والعفوية، كما يظهر الأثر الإسلامي عند ذكر القضاء والقدر، والأثر التاريخي في الكلام عن الروم وأطماعهم، والبطولات العربية الإسلامية التي تتجلى في أصعب الظروف وأحلكها.

أسئلة وتدريبات

١ – ما اسم الشاعر ؟ وأين نشأ؟

٢ – بِمَ تميز سيف الدولة عن غيره من أمراء الدويلات المستقلة؟

٣ – ما البيئة الثقافية التي تربى فيها أبو فراس؟

٤ – ما المقصود بالروميات؟

٥ – اختر الصواب من بين الأقواس فيما يأتي :

مفرد كلمة الخلائق : (الخليقة – الخلقة – الخلوق) .

ضد كلمة غمر : (معروف – مجرب – شجاع) .

معنى كلمة شيمة : (رجولة – طبع – شرف) .

الملك الضليل هو : (امرأ القيس – امرئ القيس – امرؤ القيس) .

٦ – من يخاطب الشاعر في البيت الأول؟ وهل هذا الأسلوب مألوف في الشعر العربي؟

٧ – ما الفكرة في البيتين الأخيرين؟

٨ – اشرح البيت الثالث، موضحاً ملامح الجمال فيه .

٩ – ما دلالة قول الشاعر (أصيحابي) في البيت السابع؟ وما المقصود بالأمرين في قوله : (هما أمران)؟

١٠– استخرج من الأبيات تشبيهاً ضمنياً، ووضحه .

١١– يقول عنترة :

سيذكرني قومي إذا الخيل أقبلت   تجوب بها الفرسان بين المضاربِ

هات من النص بيتاً يشبه هذا البيت، ثم وضح أيهما أفضل في رأيك، مع التعليل .

١٢– ما المعنى المشترك بين البيت الأخير في نص أبي فراس، وقول الزبيري :

وإن نلقَ حتفاً فيا حبذا   تجيء المنايا لخطابها

١٣– ما البيت الذي أعجبك في النص؟ وما سر هذا الإعجاب؟

١٤– تحدث عن البيئة التي عاشها الشاعر كما تلمحها من خلال النص .

١٥– نالت هذه القصيدة شهرة واسعة، قديماً وحديثاً، فما سر ذلك في رأيك؟

فلســـفـــة ورثاء

لأبي العــلاء المعــرّي

التعريف بالشاعر *

هو أحـمـد بـن عـبـد الله بـن سليـمـان بن محـمـد الـتـنـوخـي، ولـد بـمـعـرّة النعمان سـنة ٣٦٣هـ ـ٩٤٨م، ونسـب إليهـا، وكُـفَّ بصره وهـو في الـرابعة من عمره إثـر إصابته بـمرض الـجدريّ.

درس النحـو واللغة على يـد والده في الـمعرّة، فـهو من بيت علم كـبيـر في بلده. نظم الشعـر وهـو في الـحادية عـشرة من عـمره، مـمـا يدلّ على الموهبة المبكرة، وتـوقّد الذكاء لديه.

رحل إلى بغـداد، فأقام بـها سنةً وسبـعـة أشـهـر، وهناك اطلع – كـمـا قـيـل – على الفلسفـة الفارسيـة والهنديّة، وآراء البراهمة، ثم عاد إلى المعرّة، وقد زهد في الدنيا، وآثر العزلة، فلزم بيته، وسُمِّي رهين المحبسين (فقدان البصر ولزومه منزله).

كـان يحرّم إيلام الحيوان، ولذلك لـم يأكل اللحـم خمسـاً وأربعين سنة. اتَّـخذ من شـعـره مـجـالاً للتـعـبـيـر عـن آرائه في الحـيـاة والطـبـيـعـة والإنسـان والأخـلاق على نحـوٍ تشاؤميٍّ. وقد ألزم نفسه في الشعر بما لا يلزم من قيـود في القافية، وتكلّف الغريب، والإكثار من البديع.

ترك المعرّي ثلاثة دواوين شعرية هي: لزوم مالا يلزم، ويسمى اللزوميات، وسـقط الزند، وضوء السـقط، ويسـمى: الدرعيات. كـمـا ترك كـتـباً نثـرية ذات قـيـمـة أدبية، أشـهـرها: رسـالة الغـفـران، وعبـث الولـيـد، ومـعـجـز أحـمـد، (يعني أحـمـد بن الحسين المتنبي). وقد تُرجم كثير من شعره وبعض كتبه النثرية إلى غير العربية.

ألّف كثير من معاصريه ، ومَنْ بعدهم كـتباً ودراساتٍ حول آراء المعرّي، وفلسفته، مثـل: « أوج التـحـرِّي عن حيـثـيـة أبي العـلاء المعرّي » ليـوسـف البـديـعي، و « مع أبي

* الأعلام ، خير الدين الزِّرِكْلِي، جـ١

العلاء المعرّي » لـطه حسين، و « رجعة أبي العلاء » لـعباس محمود العقاد، وغيرهم كثير.

توفي بمسقط رأسه (معرّة النعمان) سنة ٤٤٩هـ الموافق ١٠٥٧م، وقد وقف على قبره أربعة وثمانون شاعراً يرثونه – رحمه الله.

والنصّ الآتي مأخوذ من قصيدة لشاعرنا المعرّي يرثي بها صديقه أبا حمزة الفقيه، وهو ينطلق ـ كما هو واضح من النصّ ـ من رثاء صديقه إلى رثاء الإنسانية جمعاء، والأسى لحالها. وقد جاءت الأبيات من بحر (الخفيف).

النص

١) غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي	نوحُ باكٍ ولا ترنُّم شادِ
٢) وشبيهٌ صوت النعيِّ إذا قيـ	ـسَ بصوت البشير في كلِّ نادِ
٣) أبكتْ تلكم الحمامةُ أم غنَّتْ	على فرع غصْنها الميّادِ
٤) صاحِ هذي قبورُنا تملأ الرحـ	ـبَ فأين القبورُ من عهدِ عادِ
٥) خفِّفِ الوطْءَ ما أظنّ أديمَ الـ	أرض إلا من هذه الأجسادِ
٦) سِرْ إن اسطعت في الهواء رُويداً	لا اختيالاً على رُفات العبادِ
٧) رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً	ضاحكٍ من تزاحم الأضدادِ
٨) فاسألِ الفرقدين عمّن أحسَّا	من قبيل وآنسا من بلادِ
٩) كم أقاما على زوال نهارٍ	وأنارا لـمُدلِجٍ في سوادِ
١٠) تعبٌ كلُّها الحياةُ فما أعـ	ـجبُ إلا من راغبٍ في ازديادِ
١١) واللبيبُ اللبيبُ من ليس يغتَرُّ	بكونٍ مصيرُهُ للفسادِ !

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

مجدٍ: مفيد، **ملّتي** : ديني ومذهبي، **النعيّ** : الناعي الذي يخبر بموت إنسان، **البشير**: الذي يخبر بما يسر، **ناد**: مكان تجمّع الناس، **أديم الأرض**: ظاهرها، **الفرقدان**: نجمان في الدب الأصغر، **قَبِيل**: الجماعة من الناس **المدْلج**: السائر ليلاً، **للفساد**: إلى التغيّر والزوال.

إضـــاءة

تدور أبيات النصّ حول ثلاث فكر: الحزن والفرح لا يغيِّران المصير، الأبيات من (١–٣) آثار الزوال شاخصة تعظ الغافلين، الأبيات (٤–٩)– العاقل لا يغتر بشيء زائل، الأبيات من (١٠–١١).

يقول المعري: غير مفيد ـ في مذهبي ـ البكاء أو الضحك، تجاه المصير المحتوم للإنسان، فلا السرور يؤخر الأجل، ولا الحزن يقدّمه، فوجودهما وعدمهما سواء، فالذي ينقل أخبار الموت هو كالذي ينقل أخبار الولادة، ولا فرق عندي، وكلاهما لا يمكن أن يغيّر في سير الحياة شيئاً. والذي عنده علم بالفرق بين الغناء والبكاء فليخبرنا عن تلك الأصوات التي تطلقها الحمامة: هل هي بكاء أم غناء؟ وحتَّى لو قدِّر لنا أن نعرف أنه غناء أو بكاء، فإنهما يستويان عندي، لأن أحداً منهما لن يغيِّر من سير الحياة ومصير الأحياء شيئاً.

وزوال الحياة والأحياء قدَرٌ محتوم منذ وجود الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، انظر إلى كثرة مقابر أهلنا وذوينا الذين عاش معظمهم معنا، تجد أن المقابر تكاد تغطي وجه الأرض، فإذا كانت قبورنا بهذه الكثرة، فأين قبور الأولين مثل عادٍ ومن قبلَهم ومن بعدَهم؟ إنني أظن أن هذه القشرة على وجه الأرض إنما هي من أجساد بني آدم، فإذا خَطَوت فخفف الخَطْوَ، لأنك تسير على أجساد البشر، وإذا استطعت أن تسير في الهواء فهو أفضلُ لك من أن تختال على رفات بني آدم بأقدامك.

فاللحد الواحد ربما قد صار لحداً مرات عديدة، وهو يضحك –تعجّباً– من

تزاحم الأضداد الواردة إليه؛ فمرةً يُقبر فيه غني ومرة فقير، ومرة حاكم ومرة محكوم، ومرة صغير ومرة كبير ! وهكذا تتزاحم المتضادات على بقعة واحدة ضيّقة المساحة.

وإذا أردت التأكّد أكثر، فاسأل نجمي الفرقدين عن إحساسهما بقوافل البشر التي ذهبت، وإيناسهما للبلدان على مر العصور، فإنهما مطَّلعان على ذلك، فقد كانا– وما زالا– شاهدَين على النهار، ومنيرَين لليل منذ أقدم الأزمان، وما أكثر الأيام والليالي التي مرت بهما !

والحياة كلها نكدٌ وتعب، والعَجَب كلُّ العجب ممّن يطلب المزيد من ذلك ! والذكيّ الفطن هو الذي لا يغتّر بما هو زائل، فلا يجعل كل همه في الدنيا الزائلة الفانية، وإنما يطمحُ دائماً إلى الباقي الخالد، من مواقف فاضلة، وأعمال جليلة، وسلوك صالح قويم، ينتفع به، وينفع به الآخرين.

تحليل وتذوّق

تظهر عبقرية المعري الفيلسوف الشاعر في قدرته على التعبير عن رؤيته الفكرية الفلسفية البالغة في العمق، بأسلوب شاعري وجداني جذاب، اختار فيه الألفاظ المناسبة التي تؤدي دورها في كلا الاتجاهين. فمثلاً في الأبيات الثلاثة الأولى استخدم الكلمات الشاعرية المؤثرة (نوح باك ـ ترنّم شاد ـ النعيِّ ـ البشير ـ بكت ـ الحمامة ـ غنّت ـ فرع غصنها ـ الميّاد) دون أن يضفي عليها بهارج أو خيالات، وإنما أوردها بمدلولاتها الحقيقية لتكون داعمةً لتوضيح رؤيته الفلسفية، ومؤكّدة الحقائق التي يؤمن بها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى استخدم أسلوب الاستقصاء للمعنى وضدِّه، ليوحي بالإحاطة، فيكون أقوى في الإقناع (نوح باك ـ ترنم شاد) (النعي ـ البشير) (بكت ـ غنت) بواسطة كلمتي (غير ـ كل) حيث إنه استطاع أن يحرك العاطفة، ويخاطب العقل والمنطق بتوازن، دون أن يطغى أسلوب أحدهما على أسلوب الآخر. ثم دعّم وجهة نظره الفلسفية بأمرين: –الأول مجيء الأسلوب الخبري في البيتين الأولين ابتدائيًّا دون مؤكد، وكأنه يقول: إن مذهبه لا خلاف عليه.– الثاني، مجيء الأسلوب

الإنشائي الاستفهامي (أبكت ـ أم غنّت) الذي أراد به التسوية، لتأكيد الحقيقة التي يذهب إليها؛ وهي أن مصير الحياة لا يحول دونه بكاءٌ أو ضحك، فهما سيّان، مع ترك الاستفهام مفتوحاً دون إجابة، ليكون أقوى في الإقناع النفسي والعقلي.

في البيت الرابع نداء « صاح » أي يا صاحبي، واستفهام « أين القبور . . » أراد بهما الاتّعاظ، مع الاستدلال على صدق رؤيته للحياة .

والأسلوب الإنشائي في البيت الخامس الأمر« خفِّف الوطء » أراد به النّصح بالتواضع، وفي قوله :« ما أظنّ أديم الأرض إلاّ من هذه الأجساد » ذروة تعميم الحزن الذي لم يقتصر على موت صديقه فحسب، وإنما امتدّ إلى مقابر الأولين والآخرين؛ حيث أصبح وجه الكرة الأرضية مكوَّناً من رفات بني آدم، وأن كل من فوق الأرض سيصير إلى ذلك ! واسم الإشارة« هذه الأجساد » يقصد به « الأحياء » لتنبيه الغافلين منهم.

ثم أكّد هذا المعنى بالأمر في البيت السادس« سِرْ إن اسطعت . . » الذي أراد به التوجيه والإرشاد بالتواضع، لعل النفوس الجموحة ترعوي عن غيِّها، وتخفف من غرورها.

وفي البيت السابع لقطة متحرّكة من هذا المأتم الواسع توحي به كلمة « تزاحم » فقد جعلتنا نتخيّل أن الأموات – المتباينين جنساً وحالاً – قد شكّلوا ازدحاماً خانقاً على مساحة اللحد الضيّقة، وفي كلمة « ضاحك » استعارة مكنية حيث شبّه اللحد بإنسانٍ، ثم حذف المشبه به، وأبقى شيئًا من لوازمه وهو الضحك، وأعطت اللحد مشاعر انفعالية جسّدت المعنى الذي أثار الضحك، وهو ازدحام المتضادات في بقعة واحدة !

والأسلوب الإنشائي « فاسأل الفرقدين » في البيت الثامن غرضه التأمّل، ولفت النظر إلى كثرة البشر الذين طواهم الزمن ! وكلمة « أحسَّا » فيها استعارة، حيث جعلهما يحسَّان كالبشر، وكذلك قوله:« آنسا » وقد سهَّلَتَا للسائل طريق التخاطب

مع الجماد.

والبيت التاسع امتداد للبيت الثامن، وتكملةٌ لمضمون السؤال، وفيه كناية عن كثرة الأيام والليالي المنصرمة، تشير إليها كلمة «كم» وتؤكدها النكرتان: (نهارٍ – مدلجٍ).

وفي البيت العاشر تقديم خبر المبتدأ (تعبٌ) للاختصاص، وقطع الشك عند المخاطب من أنّ الحياة فيها غير ذلك، إذ ليس فيها ـ في نظره ـ إلا التعب والنكد والنصب، وقوله: «فما أعجب إلا من راغب في ازدياد» فيه إنكار شديد على المتنافسين في هذه الحياة الزائلة المتعبة، والتوكيد اللفظي في البيت الحادي عشر يفيد الحثّ على التعقّل، وعدم الاغترار بالحياة وبهارجها.

أخيراً تجدر الإشارة هنا إلى أن فلسفة المعرّي ورؤيته للحياة والأحياء، معظمها مأخوذ من القرآن والسنة قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ [1].

وفي الحديث الشريف: « **كفى بالموت واعظاً** ».

(١) الكهف، آية: ٤٥.

أسئلة وتدريبات

١– متى فقد أبو العلاء المعري بصره ؟ وما سبب ذلك ؟

٢– ما العلوم التي درسها في بغداد ؟

٣– يقال : إن أبا العلاء المعري كان ينظر إلى الحياة نظرة تشاؤم . فهل ذلك صحيح؟ ولماذا ؟

٤– النص أخذ من قصيدة (رثاء) فهل تلمح فيه ذلك ؟ وضح .

٥– كيف يكون النعي شبيهاً بالبشير ؟

٦– بم يوحي كل من النداء والاستفهام في البيت الرابع ؟

٧– يقال : إن ذروة الحزن في مرثية المعري قد بلغت مدى بعيداً في البيت الخامس. وضح ذلك .

٨– ما الصور البلاغية في : (ضاحك ـ أحسّا ـ آنسا) في البيتين (٨,٧) ؟

٩– ماذا يفيد تقديم خبر المبتدأ في قوله :« تعب كلها الحياة » ؟

١٠– اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيما يلي :

أ – ألزم المعري نفسه في الشعر بما لا يلزم، يدل ذلك على : (عبقريته ـ فراغ وقته ـ شطح خياله) .

ب– الأمر في البيت السابع، (سر) الغرض منه (تنفيذ السير ـ التوجيه بالتواضع ـ التحدي) .

جـ– الاستفهام في البيت الثالث أراد به (الاستفسار ـ النصح ـ التسوية) .

د – تعجب الشاعر في البيت العاشر يوحي بـ : (الاستنكار ـ الحث ـ الإهمال)

هـ– كلمة (القبور) في البيت الرابع مرفوعة لأنها : (خبر ـ فاعل ـ مبتدأ) .

و – الكلمات (باك ـ شاد ـ ناد) على وزن : (فاعل ـ فاع ـ عال)

ز – كتبت الهمزة على السطر في كلمة (الوطء) لأنها متطرفة بعد : (ساكن صحيح ـ ساكن معتل ـ متحرك) .

ح– معنى (أديم الأرض) في البيت الخامس : (باطن الأرض ـ ظاهرها ـ شعابها)

١١– اشرح البيت الأخير شرحاً أدبياً موجزاً، مع توضيح ما فيه من جمال أدبي .

١٢– قارن بين الأبيات الآتية من حيث المضامين، والصور البلاغية :

قالت الخنساء ترثي أخاها :

قــذى بعــينيكِ أم بالعينِ عــوّارُ   أم ذرَّفت إذ خلت من أهلهــا الدارُ

وقال ابن الرومي يرثي ابنه :

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي   فجودا فقد أودى نظيركما عندي

وقال أبو العلاء يرثي صديقه :

غـير مـجـد في ملتي واعـتـقـادي   نـوحُ بـاكٍ ولا تـرنُّـم شــادِ

١٣– قال إيليا أبو ماضي في قصيدته (الطين) :

أنت مــثلي من الثــرى وإليــه   فلماذا يا صاحبي التِّيه والصدْ ؟

– أين معنى هذا البيت من نص أبي العلاء المعري السابق ؟

وجدٌ وشوقٌ

لابن الفارض *

التعريف بالشاعر

هو أبو القاسم عمر بن علي بن مرشد الملقب بابن الفارض، حموي الأب مصري المولد، والنشأة، والوفاة. يمتد نسبه إلى قبيلة بني سعد التي تنتمي إليها السيدة حليمة مرضعة النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

كان أبوه رجل علم، وفضل، وجاه؛ يتصدر مجالس الحكم والعلم. وعندما طلب منه أن يكون قاضي القضاة امتنع، واعتزل الناس، وانقطع إلى عبادة الله بالجامع الأزهر، واجتهد في توريث ابنه كل سجاياه الحميدة ، فنشأ ابن الفارض تحت كنف أبيه في عفاف، وقناعة، وورع. فلمّا قوي عوده اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر. كما عرف عنه ميله إلى الخلوة، والتأمل، وكثرة العبادة، وحبه للتقشف. وقد عبر عن ذلك – مبيناً نهجه الخاص – في قوله:

وأبعدني عن أربُعي بُعدُ أربَعٍ ... شبابي وعقلي وارتياحي وصحتي
فلي بعد أوطاني سكونٌ إلى الفلا ... وبالوحش أُنسي إذ من الأنس وحشتي

بعد وفاة والده قصد مكة المكرمة، وأقام فيها زهاء خمسة عشر عاماً. وهناك بين المناسك المقدسة نضجت شاعريته، وكملت مواهبه الروحية. ثم عاد إلى مصر وقد سبقه إليها ذكره العطر، فعرف الناس فضله فرفعوه إلى مصاف الصالحين، وقُصِدَ بالزيارة من الخاص والعام حتى إن الملك الأيوبي الكامل كان ينزل لزيارته.

لابن الفارض ديوان شعر لطيف ينحو منحى الزهاد الصوفيين، التزم فيه لوناً معيناً واحداً هو الوجد الروحي الهائم في الحب الإلهي، والذي عبر عنه بصور شتى . فامتاز شعره بالرقة، والعاطفة، وتجلّى في أسمى صوره المعنوية، والحسية، وهو يصف بعض ما في الكون من آيات الحب، والخير، والجمال. كما أنه طور مفهوم الشعر الصوفي حتى أصبح على يديه – كما يرى بعض النقاد– مدرسة كاملة البناء والمحتوى. ترجم ديوانه

إلى لغات متعددة، وظلَّ عطاؤه متدفقاً حتى وافته المنيَّة – رحمه الله – عام ٦٣٢هـ ودفن بسفح جبل المقطم بالقاهرة تحت المسجد المعروف بالفارض.

من ديوانه المشهور نختار بعض أبيات من بحر الكامل:

النص

١) لَمْ أقضِ حقَّ هواكَ إن كُنتُ الذي — لَمْ أقضِ فيه أسىً ومثلي مَنْ يَفي

٢) مالي سِوى رُوحي وباذلُ نفسه — في حُبِّ من يهواهُ ليس بمُسرِفِ

٣) فَلئن رضيتَ بها فقدْ أسْعَفْتَني — ياخيبةَ المسعى إذا لمْ تُسعِفِ

٤) أخفيتُ حُبّكُمُ فأخْفاني أسىً — حتى لَعَمْري كدتُ عنهُ أخْتَفي

٥) وكَتَمتُهُ عَنّي فلو أبْدَيْتُهُ — لوَجَدتُهُ أخفى مِنَ اللُّطفِ الخَفي

٦) لا غرْوَ إنْ شَحَّتْ بغمضِ جُفُونها — عَيْني وسَحَّتْ بالدُّمُوعِ الذُّرَّف

٧) غَلَبَ الهوى فأطعتُ أمرَ صبابتي — من حيثُ فيه عَصيتُ نَهْيَ مُعَنِّفي

٨) دعْ عَنْكَ تَعْنيفي وذُقْ طَعْمَ الهوى — فإذا عَشِقْتَ فَبَعْدَ ذلكَ عَنِّفِ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

أقضي(الأولى): أفي من الوفاء، **أقضي (الثانية)**: أموت، **أسىً**: حزناً ولوعة، **لا غرو**: لا عجب، **شحَّت**: بخلت، **سحَّت**: سالت، **الدموع الذرّف**: الدموع المنهمرة لشدة تدفقها، **صبابتي**: الصبابة شدة العشق، **اللطف**: الخفي جداً بحيث يصعب إدراكه.

إضاءة

يصف ابن الفارض حبه الكبير لخالقه، فيقول: إن كنت لم أتحرَّق لوعة، وشوقاً في طلب محبتك فلستُ جديراً بهذا الحب العظيم. والنفس التي يقصد الشاعر التضحية بها تعني التخلص من كل أهوائه ورغباته بحيث لا يكون في قلبه سوى

محبة الله.– فالمحب الصادق الذي يماثلني في مقامي لا بُدَّ أن يكون مخلصاً في حبه، متيماً في محراب من يحب. فها أنا أصبحت لا أملك غير روحي التي لا أستطيع أن أتصرف بها، كونها نفحة من روحك، أما نفسي فقد تخليت عنها، وبذلتها، وتنازلت عن كل متعة لي حتى أحظى برضاك عن حبي، وليس بمُسرِفٍ من يجود بأنفس ما يملك لمن يحب. فإذا رضيت عني، وقبلت حبي أكون قد بلغت المنى، وحظيت بالسعادة، أما إذا لم تقبله مني فإني أندب جدِّي*، وسعيي اللذين خاب رجاؤهما، وبطل أملهما في بلوغ هذه الغاية العظيمة.

ثم يأتي الشاعر بصورة فريدة غامرة بتدفق المشاعر الرقيقة – وإن كان يكتنف بعض معانيها الغموض – فيقول: لقد أخفيت حبكم، فكادت لوعته تفنيني، ومن شدة حرصي عليه كتمته حتى عن نفسي، نظراً لرقته، ولطفه، فهو حب صاف من قيود المادة لا يماثله أي حب دنيوي. فهو لطيف بل هو أخفى من اللطف الخفي!.

ويتابع الشاعر وصف أحاسيسه فيقول: لا عجب من بخل عيني بنومها، وسماحتها بدموعها الغزيرة؛ فهذا يعكس مكابدتي، وصبري لما تقتضيه المحبة من العذاب، والجوى شوقاً إلى المحب. وأقول لمن يحاول من العاذلين أن يثنيني عن هذا الحب العظيم: (لو أحببت كما أحببنا لفهمت كما فهمنا).

تحليل وتــذوّق

انتهج ابن الفارض في هذه الأبيات المنتقاة من قصيدته – بل في كل شعره – شكل الطابع القديم الذي لم يفرط بعمود الشعر التقليدي إلا أن شعره من حيث المضمون أخذ اتجاهين:

أولهما: أنه ألبس معانيه أثواباً من الصور التقليدية في الغزل، والنسيب حيث لم يَتسنَّ له مخاطبة العالم الخارجي بما تجيش به خواطره من منبع الصفاء الروحي المقيم في أغوار نفسه ما لم تنعكس فيه صور من ماديَّة هذا العالم، ولهذا نرى تعبيرات مثل:

حق هواك – غلب الهوى – أمر صبابتي – فإذا عشقت.

أما الاتجاه الثاني: فقد نحا به نحو الغموض حيث تعجز المعاني عن إبانة نشوته التي لا حدود لها ؛ كون المحبوب المعني هو أكبر من أن تتسع معاني اللغة للإحاطة به.

* جدِّي: حظي.

لهـذا نرى تعـبـيرات مـوغلة في الغـرابة كـونـهـا تـخطَّت دائرة الحس، فـلا تخـضع لتحليلات البلاغة، بل تـنساب متدفقة ـ دون قيود أو حواجـز ـ من بحر وجدان الشاعر، وخلجات خواطره، وصدق إحساسه. من تلك التعبيرات:

(كدت عنه أختفي ـ اللطف الخفي ـ أخفى من اللطف الخفي).

واحتوى النص – كذلك – على العديد من الصور البلاغية التي جعلته أكثر روعة وجمالاً مثل:

الجناس التام في كلمتي: أقضي ـ أقضي ـ حيث اتفقتا بعدد الحروف، وترتيبها بينما اختلفتا في المعنى؛ فالأولى بمعنى أفي من الوفاء، والثانية بمعنى: أموت ـ وكذلك الجناس غير التام في لفظتي: شحت ـ سحت. كونهما اتفقتا في أغلب حروفهما، واختلفتا في المعنى؛ فالأولى بمعنى: بخلت، والثانية بمعنى: جادت ـ كما ترى ـ أيضاً ـ في هذين اللفظين مقابلة أبرزت بوضوح معاناة الشاعر في صور حسية تجلَّت في موقفين متضادين لعيني الشاعر؛ فهما شديدتا البخل في النوم من جهة، وسخيتان بتدفق الدموع الغزيرة من جهة أخرى.

كذلك المقابلة في أطعت ـ عصيت ـ أمر ـ نهي. التي ساهمت في تصوير رفض الشاعر المطلق لأي مساومة تثنيه عن التخلي عن حبه.

كما أن الاستعارات المكنية التي وردت في قوله: (أمر صبابتي ـ ذق طعم الهوى ـ أخفاني أسى) قد جسدت المعاني المعنوية في صور حسية مشخصة. فالصبابة تأمر، والهوى يمكن تذوقه، والحب له القدرة على أن يختفي، ويُختفى عنه. !

وأيضاً حفل النص بالعديد من التعبيرات الموحية مثل:

- النداء غير الحقيقي في: (يا خيبة المسعى) الذي يُقصد به التحسر.
- والقسم (لعمري) الذي يفيد التوكيد.
- والمبالغة في (الدموع الذرَّف) التي تصف مدى معاناة الشاعر.
- والقصر في(مالي سوى روحي) الذي يُقصد به التأكيد على محدودية قدرته.

والكناية في (باذل نفسه) التي تبرز عِظَمَ التضحية.

وهكذا نلتمس قدرة الشاعر الفائقة في تصوير أرق المشاعر الإنسانية التي صاغها في حلل لفظية جميلة، ومعان موحية ـ سواء ما كان في أثرها الحسي أو فيضها الروحي المتعلق بمناجاة الذات الإلهية، ومحاولة الاقتراب من تمثل درجة الكمال الروحي.

أسئلة وتدريبات

١ – أين كان مولد ابن الفارض ؟ وأين دفن ؟

٢ – إلى أي قبيلة عربية يمتد نسبه ؟

٣ – لم انقطع والد ابن الفارض إلى العبادة بالجامع الأزهر ؟

٤ – اذكر بعضاً من صفات ابن الفارض .

٥ – التزم ابن الفارض لوناً واحداً في شعره . ما هذا اللون ؟

٦ – اشرح البيت الآتي من النص شرحاً وافياً :

مالي سوى روحي وباذل نفسه … في حب من يهواه ليس بمسرف

٧ – قال الشاعر : إن عيونه بخلت بالمنام، وجادت بالدموع . اذكر البيت الذي يفيد هذا المعنى .

٨ – ما معنى الكلمات الآتية : شحت ـ صبابتي ـ الدموع الذرف ؟

٩ – استخرج الصورة البلاغية من البيت الآتي مع الشرح :

غلب الهوى فأطعت أمر صبابتي … من حيث فيه عصيت نهي معنفي

١٠– استخرج من النص استعارة مكنية، ثم اشرحها موضحاً تأثيرها في المعنى .

١١– استخرج من النص جناساً تاماً وآخر ناقصاً مع الشرح .

١٢– لم استعان الشاعر بألفاظ الحب البشري في النص ؟

١٣– وصف الشاعر حبه بأنه أخفى من الخفى . هات البيت الذي يؤيد ذلك .

١٤– لم حذف حرف العلة من كلمة (أقضي) التي وردت في البيت الأول من النص؟

١٥– ما نوع النداء الذي ورد في عجز البيت الثالث من النص . ؟

١٦– اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيما يأتي :

– كلمة (عيني) التي وردت في عجز البيت السادس هي :

(مفعول به ـ فاعل ـ مبتدأ مؤخر) .

– معنى كلمة (شحت) التي وردت في البيت السادس هي :

(بخلت ـ جادت ـ ضعفت) .

– الصورة البلاغية في عبارة : (ذق طعم الهوى) هي :

(كناية ـ تشبيه ـ استعارة مكنية) .

١٧– قارن بين المعنى الذي أراده ابن الفارض، في قوله : (مالي سوى روحي) وبيِّن المعنى الذي أراده الشاعر (أبو علي الرَّوذباري) في قوله :

وكيف تفديك روح أنت واهبها وقد مننت على من يفتديك بها

بيِّن أيهما الأفضل من وجهة نظرك مع التعليل .

١٨– سلك ابن الفارض في شعره من حيث المضمون ـ كما جاء في النص ـ اتجاهين . اذكرهما وبيِّن وجهة نظرك فيهما . مع التعليل .

ليل الصب

لأبي الحسن الحُصَري القيرواني

التعريف بالشاعر

هو الشاعر الضرير علي بن عبدالمغني الفهري، وكنيته أبو الحسن، وعرف بالحصري القيرواني، نسبة إلى العمل بالحصر[1]، وإلى ضاحية من ضواحي مدينة القيروان بتونس حيث تربى، قبل أن يغادرها إلى الأندلس في منتصف القرن الخامس الهجري إبان حكم ملوك الطوائف.

وقد طاف مدن الأندلس ومدح ملوكها، واتصل بالمعتمد بن عباد ولقي عنده حظوة، قال يعزيه في موت أبيه المعتضد:

مــاتَ عـبّــادُ ولكنْ ... بَـقِـيَ النَّـجْـلُ الكريمُ
فكأنَّ المَيْتَ حَيٌّ ... غيرَ أنَّ الضادَ ميمُ[2]

ومما يذكر أنه مدح بعضَ ملوك الأندلس فغفل عنه، ولما عزم على الرحيل دخل عليه وأنشده:

مَحَبَّتي تَقْتَضي وِدادي ... وحالتي تقتضي الرَّحيلا
هذانِ خَصمانِ لستُ أقضي ... بينهما خوفَ أنْ أميلا
ولا يزالانِ في اختصامٍ ... حتى ترى رأيك الجميلا

كان أبو الحسن عالمًا بالقراءات، وهي الروايات التي نسبت إلى أئمة القراء في قراءة القرآن الكريم، واشتهر بقراءة نافع إحدى هذه القراءات، ونظم فيها القصيدة الحصرية وهي في ٢١٢بيتاً، قال عنه بعض القدماء (بحر براعة، ورأس صناعة، وزعيم جماعة).

وعلى الرغم مما نال من الشهرة في الأندلس، إلا إنه ظل دائم الحنين لوطنه، وبعد

(١) جمع حصير، وهو بساط صغير من خوص النخل أو غيره، وقيل الحُصْري بسكون الصاد، نسبة إلى ضاحية من ضواحي القيروان اسمها الحُصْر (٢) المراد أن المعتمد خلف أباه المعتضد.

انقضاء عصر ملوك الطوائف غادر الأندلس إلى طنجة، حيث وافاه الأجل عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م.

والأبيات الآتية من مقدمة شهيرة لقصيدة من بحر الخبب، نالت شهرة واسعة، وعارضها [١] نحو خمسين شاعراً من القدماء والمحدثين، ولعل أشهر تلك المعارضات في العصر الحديث قصيدة أحمد شوقي التي يقول في مطلعها:

مُضناكَ جَفاهُ مَرقَدُهُ ... وبَكاهُ ورَحَّمَ عُوَّدُهُ

النص

١) يا ليلُ الصبُّ متى غدُهُ ... أقيامُ الساعةِ موعِدُهُ

٢) رقدَ السُّمَّارُ وأرَّقَهُ ... أسَفٌ للبَينِ يُرَدِّدُهُ

٣) فبكاهُ النجمُ ورقَّ لهُ ... مما يرعاهُ ويَرْصُدُهُ

٤) كَلِفٌ بغزالٍ ذي هَيَفٍ ... خوفُ الواشينَ يُشَرِّدُهُ

٥) نَصَبَتْ عيناي لهُ شَرَكاً ... في النومِ فعزَّ تَصَيُّدُهُ

٦) يا مَن جَحَدَتْ عيناهُ دَمي ... وعلى خدَّيهِ تورُّدُهُ

٧) خدَّاكَ قدِ اعترفا بدَمي ... فعلامَ جفونُكَ تَجْحَدُهُ

٨) يهوى المشتاقُ لقاءَكُمُ ... وصُروفُ الدهرِ تُبَعِّدُهُ

٩) ما أحلى الوصلَ وأعذَبَهُ ... لولا الأيّامُ تُنَكِّدُهُ

١٠) بالبينِ وبالهجرانِ فيا ... لَفؤادي كيفَ تَجَلُّدُهُ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

الصب: العاشق المشتاق، **أرقه**: أسهره، **يرصده**: يرقبه، **كلف**: مولع، **الهيف**: ضمور البطن والخاصرة، **الواشين**: النمامين، **يشرده**: ينفِّره، **الشرك**: حبالة الصائد، **عز**: تعذر، **صروف الدهر**: مصائبه، **تجلده**: صبره واحتماله.

(١) نسج على منوالها وزناً وقافية.

إضـــاءة

يخاطب الشاعر الليل وقد طال ولم يأت الغد الذي ينتظره، فيقول:

يا ليل متى غد المشتاق ؟ أموعده قيام الساعة ؟!، لقد نام الجميع، وبقي المشتاق ساهراً يعاوده أسف الفراق، حتى لقد رق له النجم وبكى متعاطفاً معه لطول ما بات يناجيه. ذلك أن هذا المشتاق مغرم بفتاة تشبه الغزال ضامر الخصر والبطن دائم الهرب خوفاً من الواشين النمامين، وكانت عيناه قد نصبت له مصيدة لتصطاده في الحلم فتعذر اصطياده، ثم يخاطب هذا المحبوب مباشرة فيقول: أيها الحبيب الذي لم تعترف عيناه بقتلي مع أن دمي يظهر في تورد خديه، إن خديك تعترفان بقتلي، فلمَ جفناك ينكران ذلك ؟، إن المشتاق ليهوى لقاءكم، ولكن مصائب الدهر تبعده عنكم، فما أحلى وصلكم لولا الأيام التي تفسده بالفراق، وإني لأستغرب كم يحتمل قلبي !.

تحليل وتـذوّق

درج الشعراء على الشكوى من طول الليل أيام الفراق، ومن قصره أيام الوصال، لكن داليَّة القيرواني لما فيها من صدق الشعور، وبساطة الكلمات والصور كانت الأكثر شهرة وذيوعاً، وبخاصة لقصر البحر ورشاقة الإيقاع، الأمر الذي حدا بالمغنين لأن يشدوا بها، وبالشعراء لأن ينسجوا على منوالها.

في الأبيات الثلاثة الأولى يشكو الشاعر من طول الليل، فيبدأ البيت الأول بأسلوب إنشائي، حيث ينادي الليل متضجراً ليسأله عن الصب متى غده؟ وهو استفهام يوحي بالسأم من طول الليل، ثم يردفه باستفهام آخر يدل على الاستبطاء «أقيام الساعة موعده»، ثم يتحول من الأسلوب الإنشائي إلى الخبري في الأبيات الأربعة التالية، فيقول «رقد السمار وأرقه أسف...» وبين «رقد» و «أرقه» طباق يزيد من التأثير وإبراز حالة الشاعر، وهذا ما يفعله البيت الثالث؛ حيث يسند البكاء إلى النجم، ويمنحه من رقة المشاعر ما يجعله يقاسم الشاعر أشجانه، فهي استعارة مكنية، إذ صور النجم إنساناً يبكي، وحذف المشبه به وأتى بصفة من صفاته هي البكاء، والشاعر هنا يصور ما وصل إليه حاله، ويلمّح إلى طول سهره وصحبته للنجم.

أما في البيت الرابع والخامس فقد برزت صورة الغزال الأهيف، فالشاعر شبه الحبيبة بالغزال، ثم حذف المشبه وهو الحبيبة، وأتى بالمشبه به وهو الغزال، فهي استعارة تصريحية أعطت المعنى قوة، ذلك أنه لم يقل حبيبته تشبه الغزال بل هي الغزال نفسه، ثم يستغرق في هذه الصورة فيستعير صفة من صفات الغزال وهي الشرود ليقول: إن غزاله دائم الشرود بسبب الخوف من الواشين. وتتطور الصورة بذكر آلية الصيد في البيت الخامس، فالشاعر نصب بعينيه شركاً لطَيْف حبيبته، فلم يقدر على اصطياده حتى في النوم، وفي قوله: إن عينيه هي التي نصبت الشرك استعارة مكنية.

أما في البيتين السادس والسابع فتأتي صورة أخرى يتعمقها الشاعر هي صورة القتل، فحبيبته قتلته بعينيها دون أن تتعمد ذلك، ثم تنكر ذلك، إلا أن دم المقتول يظهر في احمرار خديها، والشاعر يتخذ من احمرار خديها دليل إدانة !.

في البيت السادس يعود للإنشاء مرة ثانية لينادي من يهوى فيصف ويعاتب في وقت واحد، فهو يصف عيني حبيبته بأنها تقتل من جمالها، وقد قتلته وأنكرت أو جحدت، وفي إسناد الجحود للعين استعارة مكنية، ثم يصف خدي من يهوى بأنهما متوردان، غير أنه جعل ذلك التورد والاحمرار من دمه كقتيل، ليمهد للبيت السابع حيث يقول:

« خداك قد اعترفا بدمي » وفي هذا استعارة مكنية طريفة حيث جعل الخدين المتهمين يعترفان، ويختم هذه الصورة المركبة بالاستفهام « فعلام جفونك تجحده » وفي إسناد الجحود للجفون استعارة مكنية، وبين « اعترفا » و« تجحده » طباق.

وفي الأبيات الأخيرة يصف الشاعر ما يلاقيه من صروف الأيام والليالي، حيث تتوالى الاستعارات المكنية في الأبيات، كما في البيت الثامن « صروف الدهر تبعِّده » والتاسع « الأيام تنكِّده » لينتهي النص بذلك الاستفهام البديع والمؤثر الذي سبقه النداء « يا لفؤادي كيف تجلّده » والمراد من الاستفهام والنداء هنا التعجب !.

كما نجد المقابلة في البيتين: الثامن والتاسع بين(لقاءكم – تبعده) وبين (أعذبه– تنكده) قد زاد من عمق المعنى.

أسئلة وتدريبات

١ – لم عرف الشاعر بالقيرواني ؟

٢ – ما المقصود بالقصيدة الحصرية ؟

٣ – عارض قصيدة (يا ليل الصب) عدد من الشعراء، فعلام يدل ذلك ؟

٤ – اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيما يأتي :

– عكس أرقه : (أراحه – عذبه – أرقده) .

– مفرد كلمة شَرَك : (شراكة – شريكة – شركة) .

٥– أدخل حرف الجر "على" و"إلى" على "ما" الاستفهامية في جملتين من إنشائك، واكتبهما صحيحتين .

٦ – إلى من يعود الضمير في كل من : يرصده – يشرده – تورده ؟

٧ – ما إعراب كلمة (كلف)في البيت الرابع ؟

٨ – ما الغرض من الاستفهام في البيت الأول ؟

٩ – في البيت الثاني محسّن بديعي، اذكره موضحاً أثره في المعنى .

١٠– ما الغرض من النداء في البيت الأخير ؟

١١– اشرح البيتين السادس والسابع موضحاً ملامح الجمال فيهما .

١٢– لم اختار الشاعر – في البيت الثامن – كملة تُبعِّده (بتشديد العين) ولم يقل تُبعِده ؟

١٣– عد إلى البيت الأول (مطلع القصيدة)، وإلى مطلع قصيدة أحمد شوقي، ثم اذكر أي المطلعين أجمل في نظرك، مع التعليل .

من كتاب (أدب الكاتب)

لابن قتيبة

التعريف بالكاتب

هو أبو محمد عبدالله بن مسلم الشهير بابن قتيبة، أصله من بلاد الترك، ولد في الكوفة سنة (٢١٣هـ – ٨٢٨م) ونشأ في بغداد وأخذ عن علمائها: التفسير، والحديث، واللغة، والنحو، والأدب، والتاريخ، ومن شيوخه: أبو حاتم السجستاني.

تولى ابن قتيبة القضاء في (الدَّيْنُور) وطال مقامه فيها فسمي الدَّيْنُورِي، ثم عاد إلى بغداد. واشتغل فيها بالتدريس وكانت وفاته في بغداد سنة (٢٧٦هـ – ٨٨٩م).

كان ابن قتيبة فقيهاً عالماً، وأديباً ناقداً، ولغوياً ونحوياً. وهو رأس المذهب البغدادي في اللغة والنحو، وكتبه كثيرة العدد واسعة الانتشار.

من آثاره:

تأويل مشْكل القرآن، والمشتبه من الحديث والقرآن، وتأويل مختلف الحديث، وعيون الأخبار، وأدب الكاتب، والقداح والميسر، وكتاب المعارف. ومن كتبه المشهورة (الشعر والشعراء) جمع فيه الشعراء الجاهليين، والأمويين، ونفراً من شعراء صدر الدولة العباسية، وفي هذا الكتاب مقدمة قيمة، وفيه نقد الشعر، ونقد نفر من رواة الشعر، وفيه ينسق ابن قتيبة تراجم الشعراء تنسيقاً تاريخياً عاماً، ويترجم لهم، ومع كل ترجمة نماذج مختارة من شعر صاحبها.

والنص الآتي من مقدمة كتابه (أدب الكاتب)، بيّن فيه الأسباب التي دعته إلى تأليف هذا الكتاب.

النـــص

إني لمَّا رأيتُ أكثرَ أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكِبين، ومن اسمه متطيِّرين، ولأهله كارهين؛ أما الناشئُ منهم فراغبٌ عن التعليمِ، والشادي تاركٌ للازدياد، والمتأدِّبُ – في عنفوان الشباب – ناسٍ أو متناسٍ، ليدخلَ في جُملةِ المجدودين، ويخرجَ عن جملة المحدودين، فالعلماءُ مغمورون، وبكرَّةِ الجهلِ مقموعون، حين خوى نجمُ الخير، وكسدت سوقُ البرِّ، وبارت بضائعُ أهله، وصار العلم عاراً على صاحبه، والفضل نقصاً، و ... ورأيت كثيراً من الكتَّاب قد استطابوا الدّعة، واستوطؤوا مركب العجز، وأعفوا أنفسهم من كدّ النظر، وقلوبهم من تعب التفكر ... ، اجعلتُ لهذا الشأنِ حظاً من عنايتي، وجزءاً من تأليفي، فعملتُ لـمُغْفِل التأديب كُتباً خِفافاً في المعرفة، وفي تقويم اللسان واليد ...

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

ناكبين: منصرفين، **الشادي**: الذي قد أخذ من العلم شيئاً، **المجدودين**: المحظوظين. **المحدودين**: المحرومين، **مغمورون**: مجهولون لا ذكر لهم، **مقموعون**: مقهورون، **خوى**: سقط وأفل، **الدّعة**: الراحة، **استوطؤوا**: سلكوا .

إضـــاءة

في هذا النص يندد الكاتب ابن قتيبة بحال المتأدبين في عصره فيقول: إن أكثر أهل زمانه انصرفوا عن الأدب وتشاءموا من اسمه، وهجروا الأدباء والكتاب، واتجهوا إلى حياة الترف واتباع الشهوات التي انعكست سلباً على أخلاقهم، فالناشئ منهم لايرغب في طلب العلم وتحصيله، والذي قد نال منهم شيئاً من العلم لا يوطن نفسه على الاستزادة منه والاستمرار فيه، أما المتأدب في ريعان شبابه والذي قد حالفه الحظ بمعرفة الأدب فلم يكن واسع الثقافة غزير التأليف، فهو من جماعة المحرومين المنصرفين عن كل ألوان الفائدة المبتغاة من الأدب، والعلماء مجهولون لا ذكر لهم، يعانون من

إساءات الجهال إليهم ، حين قلّ الخير وانصرف الناس عنه، وساءت الأخلاق، وصار العلم عاراً، والفضل نقصاً في حق صاحبه ، ثم يقول : إنه قد رأى تكاسلاً من قبل بعض الكتاب ، وأنه خاف على شأن التأديب أن يصاب بالضعف ، فعمل لهم كتباً في ذلك تقوِّم ألسنتهم في التحدث ، وأيديهم في الكتابة ، وتزودهم بالمعارف المطلوبة لكل متأدب أو مؤدب .

تحليل وتذوّق

يرى الكاتب أن أهل عصره كانوا منصرفين عن الأدب، وقد اتجهوا إلى حياة الترف وتشييد القصور، مما أدى إلى تأخر العلم والعلماء، وضاع المعنى السامي للحياة.

ونلمح في هذا النص استخدام الكاتب لبعض المحسنات البديعية كالسجع في قوله: «عن الأدب ناكبين، ومن اسمه متطيرين، ولأهله كارهين» والذي قد أكسب العبارة رونقاً وبهاءً، وإيقاعاً، وزاد موسيقاها تأثيراً.

والجناس في قوله: (جملة المجدودين، وجملة المحدودين) والذي زاد المعنى قوة وفائدة، والطباق في قوله: (العلماء مغمورون، وبكرة الجهل مقموعون) وقد أعطى المعنى قوة ووضوحاً.

كما نلاحظ بعض الجمل الخبرية في النص مثل قوله : (أما الناشئ منهم فراغب عن التعليم) و(الشادي نازل للازدياد) و (المتأدب ناس أو متناس) وقد اعتمدت هذه الجمل على الإيجاز الذي يتميز بالتركيز، وقوة العبارة، وجمال التصوير، ولطف الإشارة إلى ذلك العصر.

وفي قوله : (كسدت سوق البر وبارت بضائع أهله) كناية عن فساد الأخلاق، وفيه استعارة؛ حيث شبه البر بسلعة تعرض في السوق للبيع ، ثم حذف المشبه به، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الكساد على طريق الاستعارة المكنية، والصورة أضفت على المعنى تجسيداً وحيوية.

أسئلة وتدريبات

١ – أين نشأ ابن قتيبة؟ وما المجالات التي عمل فيها؟ وبم اشتهر؟

٢ – لما سمي بالدينوري؟

٣ – اذكر بعض كتبه.

٤ – يرى الكاتب أن أهل زمانه كانوا منصرفين عن الأدب مع أن ذلك الزمان كان زمان نهضة علمية وأدبية، علام يدل ذلك؟

٥ – تميز العصر العباسي بالحرص الشديد على التدوين والترجمة والتوسع في جميع مجالات المعرفة، ومع ذلك فإن ابن قتيبة ينادي بالمزيد، علل ذلك.

٦ – يعرف رقي العصر أو انحطاطه باتجاهات أدبائه ومفكريه. اذكر ما يدل على ذلك من النص، ثم اشرحه.

٧ – لم يبغض الجهلاء أهل العلم؟

٨ – اشرح قوله: (كسدت سوق البر) مع توضيح الصورة البلاغية في العبارة.

٩ – استخرج من النص صورة فنية اعجبتك، وبين سبب إعجابك بها.

١٠– اكشف في قاموسك عن معانى الكلمات الآتية:

ناكبين – المجدودين – خوى – الخلِق.

١١– اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

مفرد ناكبين: (ناكب – منكب – نكيب).

جمع ناشئ: (نواشئ – منشآت – ناشئون).

ضدّ متطيرين: (مستائين – متفائلين – متجاهلين).

المقامة البغدادية

للهمذاني

التعريف بالكاتب

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمذاني، الشاعر الناثر، معجزة هَمَذَان، وفريد دهره روايةً وحفظاً، وغرَّة عصره بديهة وذكاءً. ولد عام ٣٥٨هـ في هَمَذَان إحدى مدن فارس الشمالية. تعلم بالفارسية والعربية، ثم درس العربية وآدابها، وبرع فيهما، ولم يترك أديباً في همذان إلا استنفد ما عنده. غادر همذان عام ٣٨٠هـ – وهو غض الشباب – الى مدينة الرَّي.

أملى أربعمائة مقامة في نيسابور بطلها وراويها عيسى بن هشام، في الكدية (الشحاذة) وغيرها، بلفظ رشيق وسجع رقيق. غير أن هذه المقامات لم يصلنا منها إلا بضع وخمسون.

دخل في مناظرات ومكاتبات ومناوشات مع أشهر أديب في عصره أبي بكر الخوارزمي. وبسبب ذلك اشتهر وطار ذكره وارتفع عند الملوك والرؤساء. ولما مات الخوارزمي خلا له الجو وابتسم له الدهر.

مات في (هرات) بعد أن استقر فيها رخي العيش سنة ٣٩٨هـ وهو في الأربعين من العمر. اختُلف في موته فقيل مات مسموماً، وقيل مات بالسكتة.

التعريف بالمقامات

المقامات حكايات قصيرة، تشتمل كل واحدة منها على حادثة لا تستغرق غالباً أكثر من مقامة (جلسة) وتنتهي بعظة أو مُلحة. وتتسم المقامات بأناقة الأسلوب والتكلف، أو الصنعة في انتقاء الألفاظ والجمل المسجوعة.

والمقامات دروس في اللغة والبيان وضروب المعرفة الأخرى كما يرى بعض النقاد، أملاها بديع الزمان على طلابه، وجعلها بأسلوب قصصي لتكون ممتعة بعيدة عن

الجفاف. استقى مادتها من فئة من الناس الأذكياء الظرفاء لجأت إلى الاستجداء، وسلكت سبل الاحتيال والتغرير بالسذج بعد أن ضاقت سبل الرزق أمامها في ذلك العصر المضطرب.

والنص الذي سنتناوله فيما يأتي إحدى المقامات التي اشتهر بها الهمذاني.

النص

حدثنا عيسى بنُ هشام قال:

اشتهيتُ الأزاذَ وأنا ببغداذ، وليسَ معي عَقْدٌ على نَقْد. فخرجتُ أنتهزُ مَحَالَّهُ، حتى أَحَلَّني الكرخَ. فإذا أنا بسَوادي يسوق بالجَهْدِ حمارَهُ، ويطرِّفُ بالعَقْد إزارَه. فقلتُ: «ظَفرْنا والله بصيدٍ وحياكَ اللهُ أبازيدٍ، من أين أقبلتَ؟ وأين نزلتَ؟ ومتى وافيتَ؟ وهَلُمَّ الى البيت».

– قال السَّواديُّ: «لستُ بأبي زيدٍ، ولكني أبو عبيد».

– فقلت: نَعَم. لَعَنَ الله الشيطانَ، وأبعد النسيان. أنسانيك طولُ العَهْد واتصالُ البُعْد. فكيف حال أبيك أشابٌّ كعهدي، أم شاب بعدي؟

– فقال: «قد نَبَتَ الربيعُ على دِمْنَته، وأرجو أن يصيِّره الى جنَّته».

– فقلت: «إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم»، ومددتُ يدَ البِدار الى الصِدار أريد تمزيقَهُ، فَقَبَضَ السواديُّ على خَصْري بجُمْعه، وقال: «نشدتُك اللّهَ لا مزَّقتَهُ». فقلت: «هَلُمَّ الى البيت نُصِب غَداءً أو إلى السوق نشتري شواءً. والسوق أَقْرَبُ وطعامُهُ أَطْيَبُ». فاستَفَزَّتْهُ حُمَةُ القَرَم، وعطفتْهُ عاطفةُ اللَّقَم، وطَمِعَ ولم يعلم أنه وَقَعَ.

ثم أتينا شوّاءً يتقاطر شواؤُه عَرَقاً، وتتسايل جُوذاباتُهُ مَرَقا، فقلت: «افرزْ لأبي زيد من هذا الشواء، ثم زن له من تلك الحلواء، واختر له من تلك الأطباق، وانضدْ عليها أوراقَ الرُّقاق، وَرُشَّ عليه شيئاً من ماءِ السُّمَّاق، ليأكلَهُ أبو زيد هنيا» فانحنى الشوَّاءُ بساطوره، على زبدة تنوره، فجعلها كالكُحْلِ سَحْقاً وكالطَّحْنِ دقًّا. ثم جلسَ وجلستُ، ولا نَبَسَ ولا نبستُ، حتى استوفيناه. وقلت لصاحب الحلوى: «زن لأبي

زيد من اللَّوزِينَج رطْلَينْ، فهو أجرى في الحلوق وأمضى في العروق. وليكن ليليَّ العُمْر يوميَّ النَّشْر، رقيقَ القشْر كثيفَ الحَشْو، لؤلئيَّ الدُّهنِ، كوكبِيِّ اللَّون، يذوب كالصمغ قبل المضغ ليأكلَهُ أبو زيد هنيا» قال: فوزنَهُ، ثم قَعَدَ وقعدتُ، وجرَّدَ وجَرَّدتُ، حتى استوفيناه، ثم قلتُ: «يا أبا زيد ما أحوجنا الى ماءٍ يُشَعْشَعُ بالثلج، ليقمعَ هذه الصَّارَّة، ويَفْثَأَ هذه اللُّقَمَ الحارة. اجلس يا أبا زيد حتى نأتيك بِسَقَّاء يأتيكَ بشربةِ ماء.

ثم خرجتُ وجلستُ بحيث أراه ولا يراني، أَنظرُ ما يصنع فلما أبطأتُ عليه قام السواديُّ إلى حماره فاعتلق الشوَّاء بإزاره وقال: «أين ثمنُ ما أكلتَ»؟ قال أبو زيد: «أكلتُه ضيفاً». فلكمه لكمة وثنَّى عليه بلطمة، ثم قال الشوّاءُ: هاك ومتى دَعوْناك؟ زِن يا أخا القِحَة عشرين.

فجَعَل السوادي يبكي ويَحُلُّ عُقَدَهَ بأسنانه، ويقول: «كم قلتُ لذلك القُرَيْد أنا أبو عبيد، وهو يقول: أَنت أبو زيد» فأنشدتُ:

أَعْـمـل لـرزقـكَ كـلَّ آلـه	**لا تـقْـعُـدنّ بـذُلِّ حَـالَـهْ**
وانـهـضْ بـكـل عـزيمـةٍ	**فـالمرءُ يَعْـجِـز لا مَـحَـالَه**

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

الأزاذ: من أجود أنواع التمر، **النقد**: النقود .. أي لا مال له، **محالّه** : جمع محل أي أمكنة بيع الأزاذ ، **(أنتهز)**: أي ألتمس الوقوف عليها، **الكرخ**: الجانب الغربي من بغداد، **السوادي**: الرجل المنسوب إلى السواد وهو منطقة زراعية خصبة في جنوب العراق، **يطرِّف بالعقد إزاره**: يرد أحد طرفي الإزار على الآخر بما يعقد بينهما، **بصيد**: أي بمن يحتال عليه، **أنسانيك**: أي أنساني إياك، **دمنته**: قبره، **البِدار**: المسارعة، **الصدار**: ثوب يلي الجسد، **جُمْع الكف**: قبضته، **لامزقته**: أي بالله عليك لا تمزِّقْه، **القرم** : الشهوة إلى اللحم، **العرق**: ما يفرز من دهن الشِّواء، **جوذابات**: جمع جوذابة وهي خبز يخبز بالتنور، **الرقاق**: الخبز الرقيق، **السماق**:

حب صغير أحمر من المشهيات، **الطحن**: الدقيق المطحون ... والمراد خير ما يشوي، **اللوزينج**: نوع من الحلوى يحشى بالجوز واللوز وما شابههما، **أجرى في الحلوق**: أسرع سيراً فيها، **أمضى في العروق**: أشد سرياناً فيها لسرعة هضمه، **ليلي العمر**: صنع في الليل، **يومي النشر**: مصنوع ليومه، **جرَّد**: شمر عن ساعده، **يشعشع**: يُمزج، **يقمع الصارة**: يقهر العطش، **يفثأ**: يسكِّن، **اعتلق بإزاره**: تعلق به، **هاك**: خذ من اللكم واللطم، **زن عشرين**: أي أعط زنة عشرين درهماً ... **القحة**: الوقاحة، **عقده**: المقصود عقد كيس النقود، **القريد**: تصغير قرد.

إضـــاءة

يتحدث الهمذاني على لسان عيسى بن هشام – وهو شخصية خيالية– أنه اشتهى نوعاً من التمر الجيد (الأزاذ) وهو خالي الوفاض، فخرج ماراً بمحلات ذلك التمر حتى وصل إلى الكرخ. هنالك رأى رجلاً ريفياً يسوق حماراً، وقد عقد طرف إزاره على نقوده، فقرر الاحتيال عليه، وهب يرحب به ويسأله أسئلة عديدة. وعندما أخطأ باسمه تخلص بلباقة، وأصرَّ – بلا حرج – أنه يعرف السوادي الغِرّ (البريء الساذج)، ويتألم لموت والده إلى درجة أنه كان سيشق صداره حزناً.

وبعد أن دعاه إلى غداء عند الشوّاء، وصدّق السوادي أنها فرصة لطعام شهي يسيل اللعاب من لحم مشوي يتقاطر دسمه على الخبز، ورائحة تدغدغ الأنف، قال: عيسى بن هشام للشواء أعط للسوادي من خير ما تشوي (زبدة التنور) لحماً ناعماً كالكحل المسحوق والطحين المدقوق. ثم طلب رطلين حلواء رؤيتها تزيد من إسالة اللعاب، وكل ذلك باسم السوادي. وبعد أن أكلا نهض ابن هشام بحيلة أنه سيحضر سقّاء، وعندما تأخر قام السوادي للانصراف فأمسكه الشوّاء وشادّه فاضطر السوادي إلى إعطائه عشرين درهماً وهو يبكي على ماله الذي لم يحسب حساب صرفه.

وينهي ابن هشام المقامة بالبيتين اللذين يمدح فيهما نفسه ونجاح حيلته، مع أن الاحتيال سلوك يتعارض مع القيم والأخلاق الإسلامية والإنسانية.

تحليل وتذوق

يقول الراوي (عيسى بن هشام) بأسلوب قصصي : اشتهيت الأزاذ وأنا ببغداذ (أحد أسماء بغداد) . فمن أجل « الأزاذ » اختار كلمة « بغداذ » . وبدل أن يقول : ليس معي نقد قال : « وليس معي عقد على نقد »، أي ليست معي نقود معقود عليها طرف ثوبي، وتمتلئ أو تتشبع المقامة بالسجع، فنرى ألفاظاً غير مألوفة مثل : الأزاذ، دمنة، القرم، الجوذابات، الصارة . . . التي تخدم رغبته في السجع ؛ وذلك من أجل أن يوصل أغراضاً ودلالات كالتطريب اللفظي واستعراض القدرة اللغوية .

كما أن المقامة تشتمل على المحسنات الأخرى مثل الجناس والطباق . وكل هذا يظهر بوضوح الصنعة البديعية التي تنم على مقدرة الكاتب وغيره من أدباء ذلك العصر .

وإذا كنا نعطي قدراً كبيراً للكتابة المهتمة بالمعانى، المرسلة، غير المثقلة بالمحسنات البديعية من سجع وغيره، إلا ما جاء عفو الخاطر كما هو الحال لدى ابن المقفع والجاحظ؛ فإن التكلف هنا قد يأتي بدوافع أخرى وهي الرغبة في تعليم فنون اللغة، إلى جانب الإفكاه والظرف كما في هذه المقامة حيث يظهر عيسى بن هشام لبقاً، خفيف الروح، سريع البديهة، وهي صفات تؤهله للإيقاع بأمثال السوادي من الأبرياء والسذج .

والمقامة تحتاج نظراً ملياًلاكتشاف أبعاد مختلفة . فحين قابل الراوي السوادي أخذ يتعامل معه بتلقائية كمن يعرفه معرفة أكيدة ليس فيها لبس، مما يعني أن شخصية الراوي لديها قدرة كبيرة على التمثيل تستبين من هذا الموقف، ومن حسن التخلص حين أخطأ بالكنية، والقيام بحركة تمثيلية ناجحة ومؤثرة حين أوشك أن يمزق صداره حزناً عندما قال السوادي إن أباه قد مات . هذا إلى جانب تدفق الألفاظ من فم الراوي : « من أين أقبلتْ وأين نزلتْ ومتى وافيت وهلمّ إلى البيت . . . لعن الله الشيطان وأبعد النسيان . . . أنسانيك طول العهد واتصال البعد . . . إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله . . . » .

وفي المقامة طرافة من حيث إن الراوي اشتهى تمراً، فإذا بسوء حظ السوادي الغر – ذلك اليوم – يقوده إليه، فيحصل على أغلى من التمر وهو الشواء والحلواء .

من ناحية أخرى قد يلتفت القارئ إلى شخصية السوادي، فيحس بشيء من التعاطف إزاءها حين لم يقدر على مقاومة القرم (شهوة اللحم) وسال لعابه على ما لا يعلم أنها حيلة « وطمع ولم يعلم أنه وقع » .

ومن شدة انهماكه في تناول مالم يتوقع أكله لم يعد يصحح للراوي خطأ الكنية (أبو عبيد لا أبو زيد) . فالقارئ يستمتع بما تتضمنه المقامة من فكاهة، رغم رفضه للسلوك القائم على الاحتيال والخداع .

والنص لا يخلو من الصور مثل :

« نبت الربيع على دمنته » كناية عن قِدَم موت صاحب القبر، وفي قوله :

« يتقاطر شواؤه عرقاً » كناية عن دسم اللحم وفي :

« زبدة تنوره » كناية عن تقديم أجود ماالديه .

« لؤلؤي الدهن » تشبيه بالإضافة حيث أضافَ المشبه به (اللؤلؤ) .

« كوكبي اللون » تشبيه بالإضافة ـ أيضاً – إلى المشبه (الدهن) والتقدير دهن كاللؤلؤ إشارة إلى صفاء الدهن ولمعانه .

كذلك نجد التشبية في قوله : « يذوب كالصمغ » تشبيه .

وأخيراً يمكننا القول : إن المقامة – كما يرى بعض النقاد – بما تضمنته من أشخاص وأحداث وعقدة وحل تعدّ نواة للقصة القصيرة المعاصرة .

أسئلة وتدريبات

١ – من هو بديع الزمان؟ ومن هو عيسى بن هشام؟
٢ – أين تقع مدن «همذان، والري، ونيسابور، وهرات» الآن؟
٣ – من أشهر أدباء عصر بديع الزمان؟
٤ – ما معنى «مقامة»؟
٥ – ما الذي أشهر بديع الزمان؟
٦ – ما الغرض من كتابة المقامات كما يرى النقاد؟
٧ – بم توحي الجملة «ولا نبس ولا نبست»؟
٨ – تقع بعض الجمل موقعاً حسناً في النفس، مثل: «قعد وقعدت وجرد وجردت». اشرح ذلك.
٩ – تأتي كلمة «حُمَة» بمعنى إبرة العقرب التي تلسع بها. فبأي معنى جاءت في النص؟
١٠– لكثرة السجع أكثر من دلالة. وضح ذلك.
١١– هناك كلمات غير عربية في النص. حددها.
١٢– هات مثالاً لكل من: السجع والطباق والجناس من النص.
١٣– حدد شخصيات المقامة وصلتها بالبيئة.
١٤– ما الذي يثير الضحك في المقامة؟
١٥– اذكر العبارة التي طلب بها عيسى بن هشام الطعام عند الشواء.
١٦– استخدم الراوي حيلة ممقوتة للحصول على ما يشتهي من الأكل. ما رأيك في هذا التصرف؟
١٧– ما الذي يقرب المقامة من القصة الفنية المعاصرة؟
١٨– اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

- «هلم» اسم فعل بمعنى : (توقفْ، أقدمْ، تهيَّأْ).
- جمع «ساطور» : (سواطير، أسطرة، سطرة).
- معنى الفعل «نشد» طلب بـ: (قوة، يأس، هدوء).
- يسوق السوادي حماره بالجهد بسبب: (التعب، الجوع، التوهان).

١٩- « انحنى الشَّواء بساطوره على زبدة تنوره، فجعلها كالكحل سحقاً وكالطحن دقاً » .

- لماذا عمل الشواء ما عمله؟
- أعرب ما فوق الخط؟

تحرير بيت المقدس

للقاضي الفاضل

التعريف بالكاتب

هو عبدالرحيم بن علي البيساني، اشتهر باسم القاضي الفاضل من مدينة عسقلان بفلسطين، ولد سنة ٥٢٩ هـ.

أرسل إلى ديوان الإنشاء في مصر، وتتلمذ فيه على أشهر الكتاب، وأتقن فن الكتابة، عمل بعد ذلك في ديوان الإنشاء الفاطمي، في عهد الخليفة الظافر.

ولما قامت الدولة الأيوبية وتولى صلاح الدين الإمارة، اتخذه كاتباً ووزيراً ومشيراً ورئيساً لديوان الإنشاء عنده.

وبعد وفاة صلاح الدين، وَزرَ القاضي الفاضل لابنه الملك العزيز، ثم لابنه المنصور، وتوفي في بداية عهد الملك العادل سنة ٥٩٦هـ، وكان صاحب علم وفضل ودين، وصاحب طريقة في الكتابة تنسب إليه وتعرف به.

وصف بأنه كاتب الشرق والغرب في زمانه، وأنه رب القلم والبيان، وأبلغ كتاب العصر الأيوبي بلا منازع.

النص

هذا النص جزء من رسالة كتبها القاضي الفاضل على لسان صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة العباسي الناصر ببغداد يبشره ويصف له المعركة الأخيرة التي دارت رحاها حول أسوار بيت المقدس وفيها يقول:

ولما لَمْ يَبْقَ إلا القدسُ، وقد اجتمعَ إليها كلُّ شريدٍ منهم وطريد، واعْتَصَمَ بِمَنْعَتِها كلُّ قريبٍ منهم وبعيد، وظنوا أنها من الله ما نعَتُهُمْ، وأنَّ كَنيسَتَها إلى الله شافعَتُهم فلمَّا نازلهم الخادمُ، ورأى بلداً كبلاد، وجمعاً كيوم التَّنَاد وعزائم قد تآلفت وتَأَلَّبَتْ على الموتِ، فَنَزَلَتْ بِعَرَصَتِه وهانَ عليها مَوْرِدُ السيفِ وأن تَمُوتَ بِغُصَّتِه.

فنزل عليها ثم أَحَاطَ بها، وقرُبَ منها، وضُرِبَتْ خَيْمَتُهُ بحيثُ يناله السلاحُ بأطرافه، ويزاحمه السورُ بأكتَافه، وقابلها ثم قاتلها، ونزلها ثم نازلها، وبَرَزَ إليها ثم بارزها، وحاجزها ثم ناجزها، فضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح، وصَدَعَ أهلُها فإذا هُمْ لا يصبرون على عبودية الجدِّ عن عتقِ الصفح، فراسلوه ببذل قطيعة إلى مدة، وقصدوا نَظِرَةً من شِدَّة، وانتظاراً لنجدة، فعرفهم في لَحنِ القول،وأجابهم بلسان الطَّوْل، وقدم المَنْجَنِيقات التي تتولى عقابَ الحصون، وتقدم إلى الصخرِ فَمَضَغَ سَرْدَهُ بأنياب مِعْوَلِهِ، وأَسْمَع الصخرةَ الشريفةَ أنِينَهُ حتى كَادَتْ تَرْثِي لِمقْتَلِهِ.

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

الخادم: يقصد صلاح الدين، **بمنعتها**: بساحتها الممنوعة المحمية، **بلداً كبلاد**: يعني أنها واسعة يظنها الرائي لسعتها بلاداً كثيرة، **يوم التناد**: يوم القيامة، **تألبت**: تجمعت وتحشدت، **العرصة**: مساحة من الأرض، **بغصته**: الغصة شرقة في الحلق بالماء أو بغيره **نازلها**: قاتلها، **حاجزها**: أي وضع حولها حواجز، **ناجزها**: قاتلها، **وصدع أهلها**: صاحوا بطلب الهدنة، **المنجنيقات**: مفرده منجنيق آلة من آلات الحرب **نَظِرَة**: إمهال، **القطيعة**: الهجران، **لحن القول**: فحواه، **السرد**: الدرع، **الصخرة الشريفة**: صخرة في القدس أقيم عليها مسجد الصخرة، **والهاء** في (أنينه) تعود إلى المعول **والهاء** في (مقتله) تعود على الصخر.

إضـــــاءة

يقول القاضي الفاضل في رسالته:

إنه حينما عادت كافة ولايات الشام إلى أيدي المسلمين ولم يبق إلا القدس تئن تحت وطأة الصليبيين المعتدين قام صلاح الدين بحصارها، بهدف تحريرها، وضيق الخناق على من بداخلها، وكانت المساحة التي اعتصموا بها شاسعة، ولذلك اجتمع بها خلق كثير من الصليبيين، واستماتوا في الدفاع عنها، وتعاهدوا وحث بعضهم بعضاً على الموت بداخلها مهما تكن مرارة هذه المعركة وغصتها ونتائجها.

لكن صلاح الدين رسم خطة محكمة لإجبارهم على الاستسلام؛ حيث أحاط

جيشه ببيت المقدس من كل جانب، وضرب عليها حصاراً محكماً، وزحف إليها رويداً رويدا إلى أن اقترب منها ، وضربت خيمته في أسوارها على مرمى سلاح الأعداء، وزاحم بجيشه أسوارها حتى نزل بأطرافها، وضرب عليها حزاماً أمنياً إيذاناً ببدء المناجزة.

وحينها شعر القوم بخطورة الموقف وجديته، فصاحوا رافعين شعار الهدنة خداعاً لااستسلاماً، فأدرك صلاح الدين ذلك من فحوى كلامهم، وقرأه على وجوههم، وعرف أن هدفهم مزيد من الاستعداد، وطلب النجدة، فشدد من قبضته، وبدا قصف المدينة بالمنجنيق إلى أن استسلم الأعداء وتم له النصر، وأذن الله له بالتحرير، فكان يوماً مشهوداً وحاسماً في التاريخ الإسلامي، لم يفكر الصليبيون بعده بالعودة إلى أرض الإسلام إلا بعد قرون طويلة من الزمن.

تحليل وتذوّق

اتسمت الرسالة بعدد من الخصائص الفنية والأسلوبية واللغوية التي تعدُّ في مجملها من خصائص المرحلة الأخيرة من مراحل العصر العباسي، ومن تلك الخصائص:

- العناية بتشخيص المعاني كقوله:(وعزائم قد تآلفت وتألبت على الموت) حيث أسند التآلف والتألب إلى العزائم، فجعلها أشخاصاً يتحركون يحث بعضها بعضاً على الصمود، على سبيل المجاز.
- اتساع مساحة الترسل بالميل إلى العطف والترادف كقوله: (وقابلها ثم قاتلها، ونزل بها ثم نازلها، وبرز إليها ثم بارزها.
- الميل إلى الصناعة اللفظية (البديع) الذي كان يفرض نفسه فرضاً على الكتاب كقوله:(قابلها – قاتلها، نزل بها – نازلها، برز إليها – بارزها، فبين (قابل وقاتل)، و(نزل– نازل)، و(برز – بارز) جناس ناقص.
- استخدام السجع بطريقة مفرطة – أحياناً – كقوله: (طريد – شريد، قريب – بعيد، مدة – شدة، القول – الطول، معوله – مقتله.
- استخدام التصوير بأدواته المعروفة عند علماء البلاغة كالتشبيه والاستعارة والكناية من مثل قوله:
  - رأى بلداً كبلاد، وجمعاً كيوم التناد تشبيه
  - وقوله: يزاحمه السور بأكتافه استعارة مكنية
  - وقوله : وأجابهم بلسان الطول استعارة مكنية

حيث شبه السور والطول بالإنسان، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من خصائصه وهي المزاحمة في الأولى واللسان في الثانية للإيحاء بشجاعة صلاة الدين وتصميمه على تحرير بيت المقدس مهما يكن ثمن هذا التحرير.

وقوله: «فمضغ سرده بأنياب معوله» حيث شبه دك الحصون بالمضغ للإشارة إلى شدة القصف، وقوة الدك، وهي استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الدك بالمضغ وحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو المضغ على سبيل الاستعارة التصريحية (١).

وفي قوله: «لا يصبرون على عبودية الجد عن عتق الصفح» صورة أدبية جميلة عن طريق الكناية، حيث جعل شدة المعركة والجد فيها عبودية، وجعل الصفح عتقاً، فهم بين نارين عبودية الهزيمة وذل الاستسلام، ولكي يبعدوا عن أنفسهم شبح الهزيمة وذل الاستسلام، فليس أمامهم إلا المراوغة والخداع.

ومن الظواهر الأسلوبية التي اتسمت بها الرسالة، أسلوب القصر وهو أسلوب يدل على الاختصاص وله طرقه وأدواته، وقد عرفنا في درس البلاغة أن طرق القصر هي:

النفي والاستثناء، وإنما، وتقديم ما حقه التأخير، والعطف (بلا، وبل، ولكن)، وقد استخدم الكاتب من هذه الطرق:

- النفي والاستثناء كما في قوله: «ولما لم يبق إلا القدس فخص القدس بالبقاء تحت وطأة الاحتلال».
- تقديم ما حقه التأخير كما في قوله: «وإن كنيستها إلى الله شافعتهم» وقوله: «وظنوا أنها من الله ما نعتهم» فقدم الجار والمجرور (إلى الله، ومن الله) بهدف القصر والاختصاص.

كما تتسم الرسالة بأسلوب اقتباس ألفاظ القرآن ليزداد الأسلوب جمالاً ووضوحاً كقوله: «وجمعاً كيوم التناد»، وقوله: «وقصدوا نظرة من شدة» وقوله: «وظنوا أنها من الله ما نعتهم»، وهي عبارات مقتبسة من آيات القرآن الكريم (١).

---

(١) وسميت تبعية لجريانها في الفعل (مضغ) تبعاً للمصدر (المضغ كما هو معروف عند علماء البيان.

(١) انظر الآيات حسب الترتيب.

١- ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ ﴾ سورة غافر آية (٣٢).

٢- ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ سورة البقرة آية (٢٨٠).

٣- ﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ سورة الحشر آية (٢).

أسئلة وتدريبات

١– ما اسم كاتب الرسالة؟ وما اللقب الذي عرف به؟

٢– متى كانت الحروب الصليبية؟ ولماذا سميت بهذا الاسم؟

٣– هات مفرد الكلمات الآتية: (أطراف، أكتاف، منجنيقات).

٤– اجمع الكلمات الآتية: (الفتح، المعول، مقتل).

٥– اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيما يأتي:

أ – ضد (الطَّوْل) : (البؤس، القِصَرُ، الضعف).

ب– مرادف (نَظِرَةٌ) : (الرؤية، التفكر، الإمهال).

جـ– اسم الفاعل من (اعتصم) : (عاصم، معتصم، مستعصم).

د – « ولد القاضي الفاضل في: (مصر، العراق، فلسطين).

هـ– « ولما لم يبق إلا القدس » أسلوب: (توكيد، قصر، تمني).

٦– اذكر الخصائص الأسلوبية التي تميّز بها الكاتب.

العصـــر الأندلسي

الحضـارة العـربيــة في الأندلس

تقع الأندلس في الجنوب الغربي من قارة أوروبا، وتشمل ما يسمى الآن بأسبانيا والبرتغال، ويفصلها عن القارة الأفريقية مضيق جبل طارق.

وتمتاز الأندلس بطبيعة ساحرة، حيث تتدرج الزروع على جبالها الشاهقة، وتكسو أرضها الخصبة الأشجار، والأزهار، وألوان الثمر. وتنساب فيها الأنهار رقراقة عذبة. حتى قيل: إن بلاد الأندلس جنة من جنات الأرض! وقد صور مشاهدها الفاتنة أكثر شعرائها، فهذا ابن خفاجة يقول:

يـا أهـلَ أنـدلـسٍ لـلـهِ دركـمُ ... مـاءٌ وظلٌ وأنهـارٌ وأشـجـارُ

مـا جنةُ الخلدِ إلا في ديارِكـمُ ... ولو تَخَـيَّـرتُ هذي كنتُ أخـتـارُ

الحياة السياسية:

وقد دخل العرب المسلمون الأندلس فاتحين، بقيادة طارق بن زياد عام (٩٢هـ-٧١١م) في عهد عبد الملك بن مروان. ولما ثبت قدم الإسلام، واستقر حكم العرب في الأندلس، هاجر إليها كثير من العرب، وكثير من أهل البلاد الإسلامية، واختلطوا بسكان البلاد الأصليين، وتولى حكمها بعد الفتح ولاة تابعون لبني أمية.

وبعد سقوط دولة الأمويين في الشرق، فر إلى الأندلس عبد الرحمن الداخل، الملقب بصقر قريش، فأسس دولة بني أمية هناك عام ١٣٨هـ-٧٥٧م، وجعل «قرطبة» عاصمة لها، وظل الحكم الأموي هناك نحو ٢٨٤سنة، كانت من أزهى عصور الحضارة الإسلامية في الأندلس.

ثم انقسمت البلاد إلى إمارات، سمي حكامها (ملوك الطوائف) ونتيجة لهذا الانقسام بدأ أمر حكام هذه الإمارات يضطرب، وأصابهم الضعف لدرجة أنهم كانوا يستعينون بالفرنجة ضد بعضهم، ثم اشتدت عليهم هجمات الفرنجة فانتهى الوجود العربي الإسلامي في الأندلس سنة (٨٩٧هـ-١٤٩٢م).

الحياة الاجتماعية:

اعتنق أهل الأندلس الإسلام؛ لأنهم وجدوا فيه الحرية والكرامة والعدالة والمساواة والقيم الإنسانية، فتم الاندماج بينهم وبين المسلمين عن طريق التآخي، والتزاوج، والمصاهرة وغيرها. وبذلك نشأ جيل جديد يجمع بين الصفات العقلية العربية والغربية، وله في تفكيره وخياله ومزاجه الفني صفات خاصة وطابع متميز.

الحياة الفكرية:

سيطرت ثقافة المشرق العربي في بغداد على سكان الأندلس، بعد أن كانت تسيطر عليهم الثقافة اللاتينية، فأصبحت قرطبة منارة للحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، إلى جانب مناراتها الأخرى في المشرق، كالقاهرة وبغداد ودمشق.

وعن طريق الأندلس ذاعت ثقافة العرب في أوروبا، وأصبح الغرب مديناً للعرب بالنهضة التي وصل إليها في ميدان البحث العلمي والثقافة.

وقد تأثر أدباء الأندلس بأدباء المشرق تأثراً كبيراً، وإن كان أدبهم قد تميز بملامح خاصة نتيجة لطبيعة البيئة التي عاشوا فيها.

الشعر في العصر الأندلسي

كان الشعر من أسبق أنواع الأدب ظهوراً في الأندلس، لأنه مظهر الثقافة العربية، وأكثرها ذيوعاً على الألسنة، ولأنه كان مرآة لحياة العرب في تلك البلاد الجديدة، فقد أولاه الخلفاء اهتمامهم، وقربوا الشعراء، فأجزلوا لهم العطاء، ونافسوا مقر الخلافة في بغداد وغيرها من حواضر الشرق.

الخصائص الفنية للشعر الأندلسي:

سار الشعر في بداية هذا العصر على خطى المدرسة المشرقية، فكان أكثر اهتمامه بالموضوعات التقليدية من فخر ومدح وحماسة، وما إلى ذلك.

كما أنه كان يسير على نهج الأقدمين في بناء القصيدة، وفي انتزاع صورها –غالباً– من عالم البادية. وتأليف أسلوبها ـ في الأعم ـ من لغة تستوحي الذاكرة والتراث أكثر مما تستوحي العصر والواقع. يقول أبو المخشيّ من قصيدة يمتدح بها عبد

الرحمن الداخل، ويصف الرحلة إليه:

امــــتطيناها ســـــمـــــانًا بُدُنَا ... فـــتــــركـناها نضـــاءً بـالعنا
وذريـني قـــــد تجـــــاوزتُ بــهـــا ... مَــهْــمَــهــاً قــفْــراً إلى أهلِ النَّدى
قــاصــــداً خـــيـــر (مناف) كُلِّهـا ... و(مناف) خـــيــرُ من فــوقَ الثّـــرى

ويفخر الحكم بن هشام ببطولته وقوته وانتصاره فيقول:

وإني إذا حـــادوا جـــزاعـــاً من الردى ... فلم أك ذا حـــيــد من الموت جـازعـاً
حـمـيـتُ ذِمـاري فـانتـهـبتُ ذمـارَهم ... ومن لا يحـامي ظل خــزيانَ ضـارعـاً
فــهــاك بلادي إنني قـد تركـتُـهـا ... مــهــاداً ولم أتركْ علـيــهـا منازعـاً

إلا إنه لم ينقض وقت طويل حتى ظهرت في شعرهم اتجاهات جديدة تعكس امتزاج الثقافتين، وتعبر عن البيئة الأندلسية.

مظاهر التجديد وخصائصه:

أولاً- التجديد الموضوعي «فنون الشعر»:

١ – الوصف: غرض قديم إلا أنّ دائرته اتسعت في هذا العصر، فقد وصفوا كل ما يشاهدونه، وبخاصة وصف مناظر الطبيعة الخلابة، كما جعلوا منه غرضاً مستقلاً بذاته، فأفردوا له القصائد المطولة، كما استهلوا به قصائدهم.

٢ – رثاء الممالك الزائلة: غرض جديد نشأ من واقع الحياة الأندلسية، فقد شهد الشعراء الإمارات الأندلسية تتهاوى في أيدي الأعداء، فجاشت مشاعرهم حزناً عليها، وأخذوا يرثونها. كقول ابن عبدون في مطلع قصيدة يرثي بها دولة بني الأفطس:

الدهر يفـــجع بعـــد العين بالأثر ... فـمـا البكاء على الأشبـاح والصـور؟!

وقول أبي البقاء الرندي في قصيدة مماثلة:

لكل شيء إذا مـــا تم نقـــصـــانُ ... فــلا يغــرَّ بطيب العــيش إنســانُ
هي الحـيــاة كـمـا شـاهدتُها دول ... من ســـرَّه زمنٌ ســـاءته أزمـــانُ

٣– الاستنجاد بحكام المسلمين لإنقاذ البلاد، كقصيدة أبي عبد الله الفضاعي الأندلسي، يستغيث فيها بصاحب أفريقية أبي زكريا ابن أبي حفص للدفاع عن «بلنسية » ومن هذه القصيدة قوله:

أدرك بخيلك خيلَ اللهِ أندلسَا — إن السبيل إلى منجاتها درساً
وهبْ لها من عزيز النصرِ ما التمَسَتْ — فلم يزل منك عزُّ النصرِ ملتَمَسًا

٤– نظم الفنون والعلوم كالقراءات والعروض والبديع والفقه والنحو:

وقد نشأ هذا اللون في العصر العباسي في المشرق، إلا أن الأندلسيين أكثروا منه. ومن أشهر هذه المنظومات أرجوزتا ابن عبد ربه في التاريخ والعروض، وألفية ابن مالك في النحو، وغير ذلك.

ولم يتجه الشعراء الأندلسيون كثيراً إلى شعر الزهد، لرخاء حياة الأندلس وسهولتها وتمتعهم بجمالها. كما لم يعنوا بالشعر الفلسفي عناية أهل المشرق به، وذلك لانصراف الشعراء إلى اللهو والمرح ومجالس الغناء.

ثانياً– المظاهر الفنية:

منه ما يتعلق بالمضمون، ومنه ما يتصل بالشكل.

ويتمثل الأول في استعمال اللفظ الموحي بطريقة فنية مؤثرة، وفي وضوح المعاني وبساطتها، وعدم التكلف. كما ظهرت الصور والأخيلة البديعة، المنتزعة من طبيعتهم الغنية بالجمال. وأرقّ شعر الأندلسيين ما كان في الغزل والاستعطاف، وشكوى المحن، والمصائب. وأوضح مثال على ذلك تلك القطعة الشعرية التي عالج فيها الشاعر أبو المخشي تجربة فقدان بصره وفي مطلعها يقول:

خضعت أم بناتي للعدا — إذ قضى الله بأمر فمضى
ورأت أعمى ضريراً إنما — مشيُهُ في الأرض لمسٌ بالعصا

أما فيما يتصل بالشكل « الأوزان والقوافي » فقد قلد فيها الأندلسيون شعراء المشرق أول الأمر، ولكن بعد أن انتشر الغناء في مجالسهم وأسمارهم، ابتدعوا أوزاناً جديدة، ونوعوا في القوافي بطريقة لم تكن معهودة عند المشارقة، ومن ذلك «الموشح» الذي بنوه على تعدد الأوزان والقوافي، كما سيأتي.

وتتضح العاطفة في العمل الشعري الأندلسي، حتى توشك أن تكون أبرز عناصره. فالشاعر يتناول موضوعاً تقليدياً، ولكنه يلح على الجانب العاطفي فيبرزه بحيث يكاد يخفي ما سواه من جوانب .

ولنأخذ لذلك مثلاً أبيات عبد الرحمن الداخل في الحديث عن نخلة رآها بالرصافة وفيها يقول:

تبــدَّت لنا وسطَ الرصــافــة نخلةٌ ... تناءت بأرض الغــربِ عن وطن النخلِ

فقلتُ شبيهي في التغرُّبِ والنوى ... وطولِ التنائي عن بنيّ وعن أهلي

نشأتِ بأرضٍ أنت فيها غريبةٌ ... فمثلُكِ في الإقصاءِ والمنتأى مثلي

فالشاعر يصف النخلة، لكنه لم يصفها في طولها، ولا في لونها، ولا ثمرها، وإنما ترك ذلك كله ليصفها بأوصاف عاطفية، ويصورها بصورة نفسية مما تحمله نفسه هو من مشاعر الغربة.

الموشحات الأندلسية

الموشح

اسم لنوع من الشعر استحدثه الأندلسيون في القرن الثالث الهجري على أشكال مختلفة متنوّعة القوافي، وتسمّى القصيدة الجارية على هذا النظام موشّحة؛ وسمّيت بذلك لما فيها من زخرفة تجعلها كالمرأة المتزيّنة بالوشاح، وهو نسيج عريض مرصّع بالجواهر. وتخرج الموشحات أحياناً على أوزان الشعر العربي، إذ نظم الوشّاحون على أوزان لم يعرفها الشعر العربي. ومن شعراء الموشحات: ابن زهر، وابن عربي، ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم.

تكوين الموشّحة وبناؤها:

١– المطلع: وهو القفل الذي يفتتح به الموشّح.

٢– الدور: وهو القسم الواقع بين قفلين، ويشترط فيه أن تختلف قوافيه عن قوافي

يذكر مؤرخو الأدب أن أول من ابتكر فن الموشّحة (مقدَّم بن معافر) وتابعه في ذلك (أحمد بن عبدربّه) صاحب العقد الفريد.

الأقفال. وعن قوافي الأدوار الأخرى.

٣– القُفل (بضم القاف): وهو جزء يتكرّر في الموشح. ويشترط في الأقفال أن يكون لها قوافٍ واحدة في الموشّح كله.

والقفل يربط بين الأدوار، لأنه يلتزم بقافية المطلع، والقفل في مطلع القصيدة يُسمّى (مطلعا)، والقفل في ختامها يُسمّى (الخَرْجَة).

أسباب ظهور هذا الفن في الأندلس:

١– بُعْد عرب الأندلس عن أوطانهم في المشرق، مما أتاح لهم قدراً من التحرّر أدّى إلى التجديد في القالب الشعري.

٢– تأثّر الشعراء العرب بالأغاني والأناشيد الشعبية الأندلسية المتحررة من الوزن والقافية.

٣– ميل الشعراء إلى المرح والغناء الذي يحتاج إلى أنغام متنوّعة لا تتحقّق في القافية الموحّدة.

النثـر في العصـر الأندلسي

فنون النثر الأندلسي:

تعددت أنواع النثر الأندلسي، فكان النثر الأدبي، والعلمي، والعلميّ المتأدب. كما تعددت فنونه، فكان منها: الرسائل والخطب، والنثر القصصي، والوصفي، والاجتماعي، والفلسفي.

خصائص النثر الأندلسي:

تميز النثر الأندلسي بالخصائص التالية:

١ – إيثار الألفاظ القريبة الدلالة، والبعد غالباً عن الغرابة.

٢ – الميل إلى التصوير والأخيلة المنتزعة من الطبيعة.

٣ – الميل إلى الأفكار الواضحة والاستقصاء.

٤ – ظهر النثر الأندلسي في أول أمره متأثراً بنثر المشرق فكان بعيداً عن الصنعة والتكلف، ثم اتجه تدريجياً إلى الصنعة والزخرف اللفظي، وفي آخر الأمر مال إلى الإسراف والمغالاة في الصنعة اللفظية.

أسئلة وتدريبات

أجب عن الأسئلة الآتية :

١ – حظي الشعر في الأندلس بدرجة كبيرة من الاهتمام. فما أسباب ذلك ؟

٢ – عني الشعراء في الأندلس بأغراض من الشعر، وأهملوا أخرى. اذكر كل غرض مبيناً العوامل التي ساعدت على ذلك.

٣ – اقتدى الأندلسيون بالمشارقة في أوزان الشعر وقوافيه، لكنهم ابتدعوا –فيما بعد– مالم يكن عند المشارقة. وضح ذلك.

٤ – يتميز الشعر الأندلسي في مضمونه بسمات فنية تميزه من غيره. وضح ذلك مع الاستشهاد من هذا الشعر .

٥ – ما الخصائص التي تميّز بها النثر الأندلسي؟

لوعـــة فـــراق

لابـــن زيـــدون

التعريف بالشاعر

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون، شاعر أندلسي رقيق المشاعر، صادق الحس، ولد بقرطبة سنة ٣٩٤هـ، برع في الشعر والنثر، وسما به أدبه إلى أن صار وزيراً لأبي الحزم بن جَهْوَر (ملك قرطبة)، فوشى به حاسدوه عند الملك، حتى أمر بحبسه فاستعطفه ابن زيدون برسالته « الجديّة »، ومما جاء فيها :« ولا أخلو من أن أكون بريئاً، فأين العدلُ ؟ أو مسيئاً، فأين الفضلُ؟

إلاّ يكنْ ذنبٌ فعدلُكَ واسعُ   أو كان لي ذنبٌ ففضلُكَ أوسَعُ ؟

لكنّ ابن جهور لم يعفُ عنه، ففرّ من السجن، وهاجر إلى أشبيلية . وصار وزيراً للمعتمد بن عباد هناك . توفي سنة ٤٦٢هـ.

نظم الشعر في الغزل ووصف الطبيعة والمدح . كما دبَّج الرسائل، وألّف في التاريخ ممّا يدل على سعة ثقافته. ولعذوبة شعره، وصفاء لفظه؛ لقّبه النقاد بـ« بحتري الأندلس » .

اشتهر بحبه لولّادة بنت المستكفي بالله، أحد خلفاء بني أميّة بقرطبة، وكانت إحدى شهيرات عصرها في الأدب والشعر والمناظرة، ممّا جعل الكثير من المشاهير ينافسونه في التقرّب إليها . منهم الوزير ابن عبدوس، فكتب إليه ابن زيدون رسالته « الهزلية » يسخر فيها منه .

ومن هذه التجربة المؤلمة التي عاشها ابن زيدون في غربته، أبدع قصائد عديدة يناجي بها أهله وأحبابه في قرطبة، من ذلك قوله في إحداها :

هل تذكرون غريباً عاده شجنُ   من ذِكرِ كمْ وجَفَا أجفانَه الوسنُ؟

يُخفي لواعجَه والشوقُ يفضَحُهُ   فقد تساوى لديه السرُّ والعَلَنُ

يا ويلتاه، أيبقى في جوانِحِه   فؤادُهُ وهو بالأطلال مُرتَهَنُ؟

كما بعث إلى ولّادة بقصائد صادقة يعبّر فيها عن آلام البعد والفراق، ويبثها لواعج الحب والأشواق، وأشهر تلك القصائد نونيته الرائعة التي منها هذا النص.

وقد أعجب بعض الشعراء المحدثين بشعره، فعارضوا هذه القصيدة، ونسجوا على منوالها، كما فعل أحمد شوقي حين نُفِي إلى الأندلس، فأنشأ قصيدة مطلعها:

يانائح الطّلح أشباه عوادينا ... نأسى لواديك، أم تشجى لوادينا؟ (١)

فقد عاش شوقي تجربة ابن زيدون في عذاب الغربة عن الوطن، والحسرة على الماضي السعيد. فاتفق معه في التعبير عن ذلك، وفي الوزن والقافية، إلّا أن موضوع شوقي هو الحنين إلى الوطن «مصر» ووصف أمجاده. أما موضوع نونية ابن زيدون فهو حبه لولادة وحزنه العميق لفراقها.

والنص الآتي من قصيدته تلك، وهي من بحر البسيط:

النـص

أضحى التنائي بديلاً من تدانينَا ... وناب عن طيب لُقْيانا تجافينا

بنتُم وبنّا، فَمَا ابتلّتْ جَوانحُنا ... شوقاً إليكمْ، ولا جَفَّتْ مَآقينا

يَكادُ حينَ تُناجيكمْ ضَمَائرُنا ... يَقضي عَلَينا الأَسى لَولاَ تأسِّينَا

حَالَتْ لفَقْدكُمُ أيّامُنا فَغَدَتْ ... سُوداً، وكانتْ بِكُم بيضاً ليَاليِنَا

لا تحسَبُوا نَأيكُمْ عَنَّا يُغَيِّرنَا ... إذ طَالَمَا غَيَّر النأيُ المُحِبينَا

واللّهِ مَا طَلَبتْ أهْوَاؤُنا بَدَلاً ... مِنكمُ، ولا انصَرَفَتْ عَنكمُ أمَانِينَا

ياسَاريَ البَرق غَادِ القصرَ فَاسْقِ به ... مَن كَانَ صِرفَ الهَوى والودَّ يَسْقِينَا

ويانسيمَ الصَّبا بَلِّغْ تحِيّتَنا ... مَن لَوْ على البُعْدِ حيًّا كَانَ يُحَيينَا

---

(١) الطلح: وادٍ بظاهر أشبيلية. نائح: الحمام إذا سَجَعَ.

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

التنائي: التباعد – **تدانينا**: تقاربنا – **تجافينا**: التجافي: الهجر والبعد – **بنتم**: بَعُدتم – **ابتلّت**: ارتاحت وهدأت – **جوانحنا**: جمع «جانحةٍ» وهي الضلع والمراد القلب – **بان**: بَعُد – **مآقينا**: «جمع موق» وهو مجرى الدمع من العين – **تناجيكم**: تحدّثكم سرّاً – **الأسى**: الحزن – **تأسِّينا**: التأسي: التصبّر والتجلّد – **حالت**: تحوّلت «تغيّرت» **غدت**: أصبحت – **نأيكم**: النأي: البعد – **طالما**: كثيراً – **أهواؤنا**: عواطفنا – **البرق الساري**: البرق الذي يومض ليلاً –**غادِ القصر**: بكِّر إليه – **صرف الهوى**: الحب الخالص – **الصَّبا**: ريح لطيفة تهب من الشرق – **حيًّا**: أدّى التحيّة – **يحيينا**: يبعث في نفوسنا الحياة.

إضـــاءة

يتناول ابن زيدون في قصيدته فكرتين أساسيتين هما:

١– لوعة الفراق. ٢– وفاء وإخلاص.

عبّر في مستهلّ قصيدته عن تبدّل الأحوال بعد «فراق ولّادة» فقال: لقد حلّ الفراق المؤلم محل اللقاء الجميل، حين بعدتِ عني وبعدتُ عنك، فأثار ذلك حزناً في القلب، ودموعاً منهمرة لا تنقطع. وما أشدّ العذاب الذي أعانيه وأكابده حين تناجيك خواطري، فهذه النجوى تكاد تقضي عليَّ حزناً، لولا تجمّلي بالصبر والعزاء. لقد أصبحت أيامي بعد فراقك كئيبة سوداء، بعد أن كانت ليالي مشرقة ببهجة الودّ، وسعادة اللقاء.

ويُصوِّر الشاعر وفاءه لمحبوبته، وتمسكه بالعهد فيقول: لا تظنِّي بُعدَكِ عنِّي يغيّر قلبي، وينال من وفائي، وإن كان البعد من شأنه أن يغيّر القلوب، ويخمد العواطف.

فواللّه ما مالت العواطف لغيرك ولا تعلّقت الآمال بسواك.

ثمّ يتمنّى ابن زيدون على البرق أن يمضي بالمطر إلى قصرها، ليكون فيه سقياً لها، فلطالما سقته المودّة الخالصة الصافية . كما يتمنّى أن يحمل النسيمُ تحيته إليها، عسى أن تغدق عليه بردِّ التحيّةِ، فتكون سبباً لبعث الحياة فيه من جديد.

تحليل وتذوّق

القصيدة من الغزل العفيف، وليدة تجربة عاطفية صادقة عاشها الشاعر ؛ فجاءت معانيها مفعمة بالشوق والصبابة، وألفاظها حزينة، وصورها شاكية، وموسيقاها تفيض بالأشجان. فنجد شاعرنا يحنُّ لماضيه الجميل. ويوازن – في أسى وحسرة – بينه وبين حاضره المحروم الذي بَعُد فيه عن حبيبته؛ فقاسى تباريح الهوى، وآلام الفراق. ولتوضيح معانيه، ونقل مشاعره وأحاسيسه تلك، رسم صورهُ ببراعة.

ففي البيت الأول « ناب عن طيب لقيانا تجافينا »استعارة مكنية فيها تشخيص وإيحاء بألم الفراق. وفي البيت الثاني « جوانحنا »كأنّ الجوانح لم تبترد فما بال القلب. « ولا جفّت مآقينا » كناية عن شدة الحزن والحنين.

وفي البيت الثالث: « تناجيكم ضمائرنا » استعارة شخّص فيها الضمائر وجعلها أشخاصاً تناجي.

والتعبير بقوله: « غدت أيامنا سوداً » في البيت الرابع، كناية عن الحزن والكآبة، و« بيضاً ليالينا » كناية عن السعادة.

وفي البيت السادس: « ولا انصرفت عنكم أمانينا » استعارة مكنية تصوِّر الأماني في تعلّقها بالحبيبة إنساناً مقيماً لديها، لا ينصرف عنها .

وفي قوله: « ياساري البرق »، في البيت التاسع، استعارة مكنية تصور البرق إنساناً يُنادَى، ثم يؤكدّ هذه الصورة، ويقويها بقوله: « غاد: اسقِ ». والاستعارة مكنية في قوله: « من كان صرف الهوى والوّد يسقينا »، تصوّر الهوى والودَّ شراباً عذباً يُسقى، وفيها تجسيم وإيحاء بسعادة الحب.

وفي البيت العاشر: « يانسيم الصَّبا بلِّغ تحيتنا »، استعارة مكنية تصوّر النسيم إنساناً يخاطبه الشاعر. و« يحيينا » استعارة مكنية، فقد تخيّل نفسه بسبب الفراق ميّتًا، ثُم تعود إليه الحياة بتحيّة مَن أحبّ، وسرّ جمال هذه الصورة دلالتها على أثر التحيّة في سعادة النفس وراحتها.

– ونلاحظ أن الشاعر قد استمدّ بعض صوره من التراث العربي، كمناجاة البرق، والنسيم، والدعاء بالسقيا والمطر. إذ كان العرب في الصحراء يدعون لديار الأحبة

بهطول المطر، حتى تظلّ عامرة، وذلك لقلّة الماء عندهم، وتوقّف حياتهم على الأمطار، أمّا الأندلس، فهي معروفة بكثرة مياهها، واخضرار بساتينها وحدائقها، ولا حاجة بها لمثل ذلك الدعاء؛ وذلك ما يوضّح تأثّر شعراء الأندلس بالتراث العربي.

– ولم يقتصر الشاعر على الصور الخيالية بل جمع بينها وبين المحسنات البديعية التي تبعث في النص موسيقا واضحة الأثر. كالجناس الناقص بين« الأسى، وتأسِّينا »و« حيَّا، يحيينا ». والطباق بين« التنائي، وتدانينا »و« لقيانا، تجافينا »و« ابتلَّت، جفّت »و« طلبت، انصرفت ». وكل هذه المطابقات تبرز المعاني المطلوبة في الموازنة بين حالة السعادة في الماضي، والشقاء في الحاضر. وكذا نجد المقابلة بين« أيامنا غدت سوداً، كانت بكم بيضا ليالينا ».

– وبرع الشاعر في انتقاء الألفاظ، وحسن تنسيقها. فالكلمات عذبة رقيقة، والعبارات سلسلة تولّد إيقاعاً موسيقياً جذّاباً. وهو في ذلك متأثر إلى حد كبير بالبحتري.

– أما الأسلوب فيتنوّع بين الخبر والإنشاء، فمن الأساليب الإنشائية:« لا تحسبوا » نهي، غرضه الالتماس،و« ياساري البرق »و« يا نسيم الصَّبا » نداء للتمنّي.و« غاد القصر، فاسق به » و« بلِّغ تحيتنا » أساليب أمر، غرضها التمني.

– أما الأساليب الخبرية فهي متعددة، جاءت لخدمة المعاني الملائمة لعاطفة الشاعر، ومنها أساليب التقديم:« حالت لفقدكم أيامنا، كانت بكم بيضاليالينا » حيث قدّم الجار والمجرور، للاهتمام به، وللدلالة على أن بعد الحبيبة هو سبب الحزن، أما قربها فكان فيه السرور والبهجة. ومثله التقديم في قوله:« ولا انصرفت عنكم أمانينا ».

– وتبرز في هذا النص الخصائص الفنيّة لأسلوب ابن زيدون، وتتمثّل في: صدق التجربة، وقوة العاطفة، ووضوح المعاني والربط بينها، وروعة الصور الخيالية المؤثرة في النفس، وترابط الأفكار، وانتقاء الألفاظ المعبّرة، وتنسيق العبارات في إيقاع موسيقي جميل، والوحدة العضوية المتمثلة بوحدة الموضوع، ووحدة الجو النفسي، والمحسنات البديعية غير المتكلفة.

أسئلة وتدريبات

١- من هو ابن زيدون؟ وأين نشأ؟ وما أعلى منصب تقلّده؟

٢- «لابن زيدون» رسالتان مشهورتان. اذكرهما.

٣- نونية ابن زيدون وليدة تجربة شعورية صادقة. وضِّحها، مبيّناً مظاهر صدقها.

٤- علّل لما يأتي:

أ - سُمي ابن زيدون بـ(بحتري الأندلس).

ب - ابن زيدون ذو ثقافة موسوعية شاملة.

جـ- ينسب النص السابق إلى الغزل العذري.

٥- من مميزات أسلوب ابن زيدون الاستفادة من المعاني والصور القديمة. وضِّح ذلك. ومثّل له من النص.

٦- «لا تحسبوا نأيكم عنّا يغيّرنا». علام يدل هذا التعبير ؟

٧- «ويا نسيم الصَّبا بلّغ تحيتنا» ما نوع الخيال في الشطر السابق؟ وما أثره في المعنى؟

٨- «تناجيكم ضمائرنا - تناديكم ضمائرنا». أي التعبيرين أجمل؟ ولماذا؟

٩- اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيما يأتي:-

- العاطفة المسيطرة على الأبيات: (الأسى - السرور - الغضب)
- «كانت بكم بيضاً ليالينا» تعبير يدل على أيام : (سعيدة - مقمرة - كئيبة).
- مفرد كلمة: «جوانح».. (جُناح - جانحة - جُنوح).
- «المحبين» من المشتقات. ونوعه ... (اسم فاعل - اسم مفعول - صفة مشبهة).

١٠- نبحث في المعجم عن الكلمات «أهواؤنا - تجافينا - لفقدكم».

١١- ساعدت موسيقا الأبيات على إبراز الجو النفسي للشاعر. وضح ذلك.

١٢- اذكر بعضاً من خصائص ابن زيدون الفنيّة.

١٣– اذكر من النص ما يشير إلى المعاني الآتية:

ابتعدتِ عني وابتعدت عنك – فما هدأ قلبي – ولا جفّت دموعي –وتحوّلت حياتي شقاءً.

١٤– لم اختلف رسم الهمزة في الكلمات الآتية:

التنائي – تأسينا – أهواؤنا.

١٥– بِمَ توحي الكلمات الآتية:

(يكاد – ابتلّت – غادِ) ؟

وصف الجبل

لابن خفاجة

التعريف بالشاعر

إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي، شاعر ناثر، ولد سنة (٤٥٠هـ – ١٠٥٨م) ببلدة شَقَرْ بالأندلس. وفي هذه البيئة الطبيعية الجميلة عاش حياة هادئة مترفة، ينعم فيها بالمكانة الكريمة، والتقدير من معاصريه أيام الطوائف ودولة المرابطين في الأندلس. يُلقّب بشاعر الطبيعة؛ لافتتانه بالطبيعة الحالمة، ونظرته المتفائلة للحياة. توفي سنة (٥٣٣هـ – ١١٣٨م).

يدور أكثر شعره حول الوصف والمدح والغزل والرثاء، ويغلب عليه الوصف، بل إن هذا الفن يمتد إلى الأغراض الأخرى ويشيع فيها. فقد كان يكثر من الوصف في مدحه، ويستمد من الطبيعة صوراً تبرز عاطفته ومشاعره، حتى يخيّل إليك وأنت تصغي إلى هذه المدائح أنك بين الطبيعة، تنعم بجمالها، وجوهرها الساحر. فتراه يقول:

له شيمةٌ تَنْدى، فتشفي من الصدى ... وتنقع أحشاء الهجير فيبرد[1]
تمدُّ عليك الظلَّ سرحةُ أبطحٍ ... بها، ويُغَنِّيك الحمامُ المغرِّد[2]

يمتاز أسلوبه بجزالة الألفاظ وعذوبتها وإحكام تنسيقها وعمق الأفكار، وعدم التكلف في المحسنات، وصوره نابضة بالحياة والحركة.

وقد نهج في شعره نهجاً مخالفا لما درج عليه الشعراء في افتتاح قصائدهم بالغزل والنسيب، فافتتحها بوصف الطبيعة.

كان يطيل التأمل في مشاهدها فيتعمّق في وصفها، ويبعث فيها الحياة،

(١) الصدى: العطش، تنقع: تروي.
(٢) سرحة أبطح: السرحة: الشجرة، الأبطح: المكان المتسع الرحب.

يشخّصها ويناجيها، كأنها أحياء تحس وتفكّر وتتحدّث.

والنص الآتي من البحر الطويل يمثّل ذلك، فقد وقف ابن خفاجة ليلاً أمام الجبل، وأخذ يصفه ويناجيه متخيلاً أنه يأنس به، ويفضي إليه بما في نفسه:

النص

١) وأرعَنَ طمَّاحِ الذّؤابة باذخٍ	يُطاولُ أعنانَ السماءِ بغاربِ
٢) يسدُّ مهبَ الريحِ من كلِّ وجهةٍ	ويزحم ليلاً شُهبَه بالمناكب
٣) وقورٌ على ظهر الفلاة، كأنّه	طَوالَ الليالي مُطرِقٌ في العواقبِ
٤) يلوث عليه الغيمُ سودَ عمائمٍ	لها من وميضِ البرق حُمرُ ذوائبِ
٥) أصختُ إليه وهو أخرسُ صامت	فحدَّثني ليلَ السُّرى بالعجائبِ
٦) وقال: ألا كم كنتُ ملجأ قاتلٍ	وموطنَ أوّاهٍ تبتَّلَ - تائب!
٧) وكم مرَّ بي من مُدلجٍ ومؤوِّبٍ	وقالَ بظلّي من مَطيٍّ وراكبِ
٨) فما كان إلاَّ أنْ طوتهم يدُ الرَّدى	وطاحتْ بهم ريحُ النوى والنوائبِ
٩) فما خفقُ أيكي غيرُ رجفةِ أضلُعٍ	ولا نَوحُ وُرْقي غيرُ صرخةِ نادبِ
١٠) وما غيّضَ السلوانُ دمعي وإنما	نزفتُ دموعي في فراقِ الصواحبِ
١١) فحتى متى أبقى ويَظعَنُ صاحبٌ	أودّعُ فيه راحلاً غيرَ آيبِ
١٢) فرُحماكَ، يا مولاي، دعوةَ ضارعٍ	يمدُ إلى نُعماكَ راحةَ راغبِ
١٣) فقلتُ وقد نكّبتُ عنه لِطيَّةٍ	سلامٌ! فإنَّا من مُقيمٍ، وذاهبِ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

الأرعن: جبل له بروز واضح، **طماح الذؤابة**: عالي القمة، **باذخ**: شامخ مرتفع، **يطاول**: ينافس، **أعنان السماء**: نواحيها «جمع عنان»، **غارب**: الغارب: ما بين عنق الجمل وسنامه، والمراد هنا أعلى الجبل، **الشهب**: الكواكب، **المناكب**: جمع

منكب وهو مجتمع رأس الكتف بالعضد، **وقور**: رزين ثابت، **يلوث**: يلف، **وميض البرق**: لمعانه، **ذوائب**: أطراف والمفرد ذؤابه، **أصخت إليه**: استمعت إليه بانتباه، **السرى**: السير ليلاً،**أواه** : ناسك عابد، **تبتل**: انقطع إلى عبادة الله، **المدلج**: الذي يسير الليل كلّه، **المؤوّب**: الذي يسير جميع النهار، **قال بظلي**: نام أواستراح في ظلي وقت القيلولة ظهراً، **الردى**: الموت، **النوى**: الفراق، **النوائب**: الحوادث والمصائب والمفرد نائبة،**خفق أيكي**: تحرّك أشجاري واهتزازها، والأيك: جمع أيكة وهي «الشجر الكثير الملتف»، **رجفة**: اضطراب، **نوح**: بكاء، **وُرقي**: جمع ورقاء وهي الحمامة فيها بياض وسواد، **ما غيّض**: ما جفّف، **السلوان**: الصبر، **الصواحب**: جمع صاحبة، **يظعن**: يرحل، **آيب**: عائد، **رحماك**: رحمتك، **ضارع**: خاشع متوسل إلى الله، **الراحة**: باطن اليد، **نكبت عنه**: مِلْتُ عنه بعد أن سمعت شكواه، **لطيّة**: الطيّة: الحاجة والقصد الذي يُتوجّه إليه.

إضــــاءة

تدور الأبيات حول فكرتين أساسيتين هما:

١ – وصف الجبل. ٢ – حديث الجبل ومناجاته.

وقد بدأ الشاعر بوصف الجبل فقال: إنه جبل ضخم، له بروز واضح، وقمة شامخة، كأنه ينافس بعلوه جوانب السماء. وهو بضخامته يسد طرق الريح من كل ناحية، وبارتفاعه وعلو مناكبه يزاحم النجوم في أفلاكها. وقد ربض في مكانه راسخاً شامخاً لا يبرحه، أو يتزحزح عنه، يتأمّل فيا في الصحراء المنبسطة، مفكّرًا في أحداث الدهر التي تمر به، وتقلبات الزمان.

وتلتف السحب السوداء حول رأسه، وقد أخذ البرق يلمع في جوانبها، فبدت كأنها عمائم سوداء، ذات أطراف حمر، تزيد من هيبته ووقاره.

ثم ينطلق ابن خفاجة بخياله، فينقل إلينا خواطر الجبل ومشاعره قائلاً:

في ليلة من ليالي سفري مررت بهذا الجبل، واستمعت إليه باهتمام، وهو يحدثني بأحاديث عجيبة، على الرغم من أنه أخرس، صامت، فقال:

كثيراً ما لجأ إليّ قاتل، متخذاً من كهوفي وصخوري مخبأً يتحصّن فيه، وكثيراً ما

كنت موطن عابد منقطع لعبادته، وكم مرّ بي من مسافر ليلاً ونهاراً، وركن إلى ظلي الكثير من الركبان والمطايا، طلباً للهدوء والراحة.

لقد ذهب هؤلاء جميعاً: قضى عليهم الموت، وعصفت بهم النكبات والمصائب، فتركوني متأثراً لفراقهم. وما اهتزاز أشجاري غير رعشة ضلوعي حزناً عليهم، وما بكاء حمائمي إلا صرخات حزينة تندبهم. أما جفاف دموعي فليس ناشئاً عن صبر وسلوان، ولكنه ناشئ من كثرة ما بكيت على فراقهم، فلم يعد في مآقيَّ من دموع.

فإلى متى أبقى في مكاني هذا، وكل شيء من حولي يمضي ويذهب، وكل صاحب أودعه راحلاً لا يعود؟ فرحمتك اللهم بي، أدعوك دعوة خاشع متوسّل، يمدّ إليك يد الرغبة في رضاك وعطفك أن تخفّف عنه من بلائه.

ثم يفيق الشاعر من تأملاته منطلقاً في طريق الحياة سعياً وراء مطالب العيش، فيودع الجبل قائلاً: سلام عليك أيها الصديق، هذه سنة الحياة، وكل يقوم بدوره المرسوم فيها، سواء أكان مثلك مقيماً في مكانه، أم كان مثلي ذاهباً في طريق طويل.

تحليل وتذوق

غرض هذا النص «الوصف»، ولكنه وصف من لون جديد، فيه تشخيص للجماد، وبعث الحياة والحركة فيه، وبثّه الخواطر والأفكار.

وقد بدأ الشاعر بوصف الجبل معتمدا على التصوير الكلي الرائع، والتصوير الخيالي الجزئي الدقيق. ففي الأبيات الأربعة الأولى رسم صورة كلية للجبل الضخم المرتفع كما رآه وكما أثّر في نفسه. وتلك الصورة حافلة بالحركة (يسدّ مهبّ الريح – يزحم – يلوث)، وبالصوت (هبوب الريح)، وباللون (ليلاً – شهبه – سود عمائم – وميض البرق – حمر ذو ائب)، وبالشكل المتمثل في (أرعن – طمَّاح الذؤابة – وقور – مطرق).

وتنبثق من خلال ذلك المشهد صور جزئية: ففي البيت الأول «يطاول أعنان السماء بغارب» استعاره مكنية، فقد شبّة الجبل بجمل مرتفع الجسم يبلغ كتفه أعنان السماء، وحذف المشبه به ودلّ عليه بشيء من خصائصه وهو «غارب»، وسر جمال هذه الصورة الإيحاء بضخامة الجبل وشموخه وامتداده، وهي صورة منتزعة من البيئة

البدوية. ولا يعاب على الشاعر أن المشبّه أقوى من المشبّه به في وجه الشبه، فهو لا يريد الجمل الذي نعرفه، وإنما كان هذا الجمل خيالياً مرتبطاً بشعور الشاعر فقط. وذلك شبيه بقول امرئ القيس يصف طول الليل:

فقلت له لمّا تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

وفي البيت الثاني: « يسدّ مهب الريح من كل وجهة » كناية عن ضخامة الجبل واتساع مساحته.

وفي البيت الثالث شبّه الجبل في ثباته بإنسان وقور، وفي هذه الصورة تشخيص وبث للحياة في الجبل، وفي قوله: « مطرق في العواقب » صورة تؤكد سابقتها.

وفي البيت الرابع « يلوث عليه الغيم سود عمائم » استعارة مكنية تصوّر الجبل إنساناً على رأسه عمامة. وفي قوله: « الغيم سود عمائم » و« ميض البرق حمر ذوائب » تشبيهان. والغرض من هذا التصوير في البيت ما قصد إليه الشاعر من خلع جو المهابة على هذا الجبل. فهو شيخ وقور، على رأسه عمامة سوداء، لها ذوائب حمراء، يفكّر في تقلبات الزمن، وهي صور منتزعة من البيئة العربية.

وقد شخّص الشاعر في هذه الأبيات الجبل تمهيداً لمحادثته ومحاورته في الأبيات التي تليها، والتي رسم فيها صورة كلية ثانية تشخص الجبل وتجعله يحسّ بما حوله، وبمن يلجأ إليه، محتمياً به أو مستظلاً بظله. كما أنه يجلس إلى الشاعر يروي له تلك الأحداث.

وهذه اللوحة مشهد مليء بالحركة والصوت واللون، تدركها كسابقتها من خلال الألفاظ المعبّرة في الأبيات.

وقد ساعد في تكوين هذه الصورة الناطقة لشخصية الجبل وحياته صورٌ جزئيّة متعدّدة: كالاستعارة المكنية « أصخت إليه » في البيت الخامس. فقد شبّه الجبل بإنسان يتحدث حديثاً شائقاً يصغي إليه الشاعر، وفيها تشخيص، وإيحاء بالاهتمام. ومثل ذلك التعبير قوله: « حدّثني » و« قال: ألا كم كنت .... ».

وفي البيت الثامن « طوتهم » استعارة مكنية تصوّر هذه المخلوقات بساطاً يطوى. ومثلها « يد الردى » فهي تصور الموت في قدرته إنساناً له يد تنهي الحياة . ونجد تشبيهاً في قوله: « ريح النوى والنوائب » وهو يصور الفراق والمصائب ريحاً عاصفة

تدمّر كل شيء .

وتتوالى الصور الخيالية في بقية الأبيات، وقد جاءت جميعها معبّرة عن عاطفة الشاعر التي امتزج فيها الإعجاب بالإشفاق . ومؤثرة في نفس السامع والقارئ بحيث يعيش مع الشاعر في تجربته الشعرية .

وتتنوّع الأساليب بين إنشائية وخبرية، بتنوّع المشاعر وتتابعها، مضفيةً على النص الجو النفسي الذي عاش فيه الشاعر .

فمن الأساليب الإنشائية : « فحتى متى أبقى .. ؟ » استفهام لإظهار الضيق والاستبطاء و « رحماك يا مولاي » نداء للدعاء يشف عن ضراعة خاشعة .

أما الأساليب الخبرية فقد جاءت لإظهار الإعجاب، كما في البيت الخامس . والحزن والمرارة كما في قوله : « ألا كم كنت ملجأ .. وكم مر بي .. » .

ومن الأساليب الخبرية المؤكَّدة : « فما كان إلا أن طوتهم يد الردى .. » و « فما خفق أيكي غير رجفة أضلع »، « ولا نوح ورقي غير صرخة نادب »، و « ما غيض السلوان دمعي وإنما .. » وهي أساليب قصر جاءت موحية بالحسرة والأسى الذي يعانيه الجبل كما رآه الشاعر . أما الخبر في البيت الأخير فغرضه إظهار واقع الحياة في انشغال المرء بمطالب العيش، وعدم الوقوف عند رغبات الآخرين .

وقد بدت بعض المحسنات البديعية كالمطابقات في حديث الجبل الحزين، وهي تنم عن متناقضات الحياة من مثل « صامت، حدثني ـ ملجأ قاتل، موطن أوّاه ـ مدلج، مؤوب ـ مطي، راكب ـ أبقى، يظعن ـ مقيم، ذاهب » . وسر جمالها أنها طبيعية، ومن صميم التجربة الشعرية، لا تكلُّف فيها ولا افتعال .

أما الجناس الناقص في قوله : « النوى والنوائب » فهو يقوي المعنى بما يدل عليه من صلة بينهما .

ونجد حسن التعليل في البيتين (٩، ١٠)، فقد علّل لاهتزاز الشجر، ونوح الحمام، وجفاف دمعه تعليلاً لطيفاً، وهو الحزن على من فارقهم .

– ألفاظ النص جزلة واضحة توحي بالموقف النفسي للشاعر .

ويحفل النص بجرس موسيقي نجده في الوزن والقافية، وفي بعض المحسنات البديعية، وحسن انتقاء الألفاظ وتنسيقها، وتسلسل الأفكار، وروعة التصوير .

أسئلة وتدريبات

١– لُقِّب ابن خفاجة بشاعر الطبيعة المرح . لماذا ؟

٢– وصف الطبيعة من الأغراض البارزة في الشعر الأندلسي . بيّن أسباب ذلك .

٣– تحدّث مجنون ليلى إلى جبل التوباد فقال :

وأجهشت للتوباد حين رأيته وكبّر للرحمن حين رآني[1]

فقلت له : أين الذين عهدتهم حواليك في خِصْبٍ وطيب زمانِ ؟

فقال : مضَوا واستودعوني ديارَهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثان[2] ؟!

هل بلغ مجنون ليلى من استقصاء المعاني ورسم الصور ما بلغه ابن خفاجة بعده؟ وضّح ذلك .

٤– جاءت ألفاظ النص ملائمة لمعاني الوصف . اشرح هذه العبارة، ومثِّل لها من الأبيات .

٥– **وأرعَنَ طمَّاحِ الذُّؤابة باذخٍ يُطاولُ أعنانَ السماءِ بغاربِ**

لم يُعجب بعض النقاد بالخيال في البيت السابق . فلماذا ؟ وما رأيك ؟

٦– اقرأ البيتين الآتيين ثم أجب عن الأسئلة التي تليها :

وكم مرَّ بي من مُدلجٍ ومؤوِّبٍ وقالَ بظلِّي من مَطيٍّ وراكبِ

فما كان إلّا أنْ طوتهم يدُ الرَّدى وطاحتْ بهم ريحُ النوى والنوائبِ

أ – ماذا ترى من فائدة لعطف « راكب » على « مطي » و « النوائب على النوى »؟

ب– كان الشاعر موفقاً في استخدام « طوتهم » مع « يد الردى » و « طاحت » مع « ريح النوى » وضّح ذلك .

جـ– اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيما يأتي :

● « كم » في البيت السابق تفيد .. (الاستفهام ـ التعجب ـ الكثرة)

---

(١) أجهشت : بكيت بشدة . التوباد : جبل بالجزيرة العربية .

(٢) الحدثان : تقلب الزمن .

● مقابل « النوى » .. (القرب ـ العزم ـ البعد)

● مفرد « النوائب » .. (النائب ـ النائبة ـ النوبة) .

● « فما كان إلا .. » أسلوب قصر يفيد (التوكيد ـ التعجب ـ الاستدراك) .

● « مدلِج » اسم فاعل مشتق من .. (دلج ـ أدلج ـ دلّج)

٧ـ اختر للعمود (أ) ما يدل عليه من العمود (ب) فيما يلي :

(أ)	(ب)
ـ انتقال بعض العادات مع العرب إلى الأندلس	تؤثّر في المتلقّي .
ـ تأثر الشاعر في خياله بما في البيئة العربية القديمة	التسليم بالقضاء والقدر .
ـ صدق العاطفة عند الشاعر	لبس العمامة
ـ نظرة الشاعر المتفائلة للحياة	تشبيه الجبل بالجمل

٨ ـ يصور النص الخصائص الفنية لشعر ابن خفاجة . اذكر تلك الخصائص .

٩ ـ بين نوع الخيال فيما يأتي، ثم اشرحه :

ـ « فما خفق أيكي غير رجفة أضلع » .

ـ « ولا نوح ورقي غير صرخة نادب » .

ـ « نزفتُ دموعي » ـ « أودّع » .

١٠ـ بيّن نوع الاستعارة فيما يأتي ثم وضّح أثرها في المعنى :

« دعوة ضارع، يمدّ إلى نعماك راحة راغب » .

جـــادك الغـــيثُ

للســان الدين بن الخطيب

التعريف بالشاعر

هو محمد بن عبدالله بن سعيد المعروف بلسان الدين بن الخطيب، ولد بمدينة «لوشة» قرب غرناطة عام ١٣١٣م، من أسرة هاجرت من الشام إلى الأندلس، فنشأ في مهد السيادة والعلم، وشب أديباً، ومتطبباً، وكاتباً.

واشتغل بالسياسة فعين وزيراً لملوك بني الأحمر في غرناطة، ومات سنة ١٣٧٤م.

آثاره: ترك لنا لسان الدين بن الخطيب كتباً يناهز عددها الستين، معظمها في التاريخ، والأدب، والتصوف، والطب، ومنها:

«الإحاطة في تاريخ غرناطة» و «اللمحة البدرية في الدولة النصرية» و« معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار» و« خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف» و« ريحانة الكتاب ونجعة المتاب».

وله خطب مشهورة، ورسائل مسجوعة، وموشحات رقيقة. ويعد ابن الخطيب من أعظم رجال الأندلس في عهدها الأخير، وأسلوبه أميل إلى أسلوب الفقهاء منه إلى أسلوب الأدباء.

النص

١) جادك الغيثُ إذا الغيثُ هَمَى ... يا زمانَ الوصلِ بالأندلسِ
٢) لم يكنْ وصلُك إلا حُلُماً ... في الكَرَى، أو خِلْسَةَ المختلسِ
٣) إذ يقودُ الدهرُ أشتاتَ المنى ... تنقلُ الخَطْوَ على ما يرسمُ
٤) زُمَراً بين فُرَادَى وثُنَى ... مثلَما يدعو الوُفُودَ الموسمُ

٥) والحَيَا قد جلّلَ الروضَ سنَا فَثُغُورُ الزهرِ منه تبسمُ

٦) وروى النُّعمانُ عن ماءِ السما كيف يروي مالكٌ عن أنسِ

٧) فكساه الحسنُ ثوباً مُعْلَماً تزدَهي منه بأبْهَى ملبَس

٨) في ليالٍ كتمتْ سرَّ الهَوَى بالدُّجى، لولا شموسُ الغُررِ

٩) مال نجمُ الكأسِ فيها وهَوَى مستقيمَ السيرِ سعدَ الأَثَرِ

١٠) وطرٌ ما فيه من عيبٍ سوى أنّه مرَّ كلمحِ البَصَرِ

١١) حين لذَّ الأنسُ شيئاً أو كَمَا هَجَم الصبحُ هجومَ الحرسِ

١٢) غارتِ الشُّهبُ بِنَا أو ربَّما أثَّرتْ فينا عيونُ النَّرْجِس

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

جادك الغيث: سقاك الغيث، **همى**: هطل، **الكرى**: النوم، **خلسة**: خفية، **أشتات المنى**: الأماني المتفرقة، **ترسم**: يخطط، **زمراً**: جماعات، **الحيا**: المطر، **جلل الروض سنا**: كساه أزهاراً تلمع وتتلألأ، **شقائق النعمان**: وهو ورد أحمر، **يزدهي**: يختال، **معلماً**: ملوناً، **مال نجم الكأس**: انتقل من يد إلى يد، **سعد الأثر**: محمود الأثر، **شموس الغرر**: جمع غرة، والمراد طلعة وجوه الحسان التي تشبه الشمس، **وطر**: بغية، يقال قضى منه وطره، أي نال بغيته ومطلبه.

إضـــاءة

في هذه الموشحة يتحسر الشاعر على زمان الوصل في الأندلس ويبكي عصراً جميلاً ولى، وزمناً حلواً رحل فيدعو له بجود المطر، ويتذكر بحنين وأسى من كان يحب ويهوى، فيقول: كان وصلها حلماً جميلاً، أو لذة مختلسة في الخفاء، وكان الدهر آنذاك يحقق له تلك الأماني المطلوبة التي كان يتمناها.

ثم ينتقل إلى الطبيعة متأثراً بذكرياته العذبة فيقول: كانت الطبيعة من حولنا

جميلة فاتنة تشاركنا مشاعر السعادة والسرور، والأزهار مفتحة تلمع وتتلألأ، والورود الحمراء بنضارتها تنطق بأثر المطر فيها وفضله عليها، وهذه الطبيعة قد اكتسبت لوناً من الجمال والفتنة.

ثم يعود ويتحسّر على ليالي اللقاء الجميلة التي كان ظلام الليل يكتمها لولا طلوع الفجر المفاجئ الذي فضح تلك اللقاءات الخفية، وجعلها تمر سريعة كلمح البصر، ولا يزال أثرها الجميل في نفسه، ونراه يتهم النجوم بالغيرة والحسد من تلك اللقاءات فيقول: اختفت لترسل الصبح يفرق شملنا ويبدد سعادتنا.

تحليل وتذوّق

يتحدث الشاعر في هذه الموشحة عن ماضيه الجميل فقد حول أفكاره إلى عواطف جياشة برزت في الكثير من الصور الخيالية التي أكسبت المعنى وضوحاً وقوة تأثير.

ففي البيت الأول نراه يترحم على زمان الوصل بمن كان يحب ويهوى، ويدعو لذلك الزمان بالسقيا ونزول المطر.

وفي قوله: (يقود الدهر أشتات المنى) استعارة مكنية شخّص الشاعر فيها الدهر، وجعله إنساناً يقود الأماني المتفرقة، وقد دلت على صفاء الحياة والسعادة التي كان يشعر بها الشاعر آنذاك.

والتشبيه في قوله: (زمراً بين فرادى وثنى) حيث شبه أشتات المنى بالحجاج الذين يدعون الله في موسم الحج فرادى وجماعات، وهو تصوير فيه قوة وروعة، وفيه إبراز للمعنوي في صورة حسية حية.

ونرى الشاعر ينتقل في الأبيات من (الخامس إلى السابع) إلى الطبيعة الأندلسية الفاتنة، ويمزج عواطفه الثائرة فيها فيقول: (الحيا جلل الروض سنا) وقوله: (فثغور الزهر منه تبسم) وقوله: –أيضاً– (فكساه الحسن ثوباً معلماً) وجميعها استعارات تدل على مشاركة الطبيعة الشاعر مشاعر السعادة والسرور، وقد صور أفكاره بألفاظ معبرة تساير جو الأبيات وتوحي بجمال الطبيعة وفتنتها، مثل:(الحيا، الروض، سنا، تبسم، الحسن، معلماً).

ونلاحظ استخدامه بعض المحسنات اللفظية والمعنوية، كالطباق بين (فرادى، ثنى) والتورية في (النعمان، ماء السما) فهو لا يريد النعمان بن المنذر ولاجده ماء السماء، ولكن يريد الزهر الأحمر والمطر.

ثم يعود ويستخدم الاستعارة مرة أُخرى في قوله: (في ليال كتمت سر الهوى) وهي استعارة مكنية دلت على السعادة وكتمان اللقاء في ظلام الليل، حيث شبه الليالي بشخص يحفظ السر، فحذف المشبه به ودل عليه بشيء من خصائصه وهو الكتمان، ومثلها (هجم الصبح) وهي استعارة مكنية أخرى.

ونلمح التشبيه مرة أخرى في قوله: (مال نجم الكأس) وهو تشبيه بليغ زاد المعنى قوة وتأثيراً، ونلاحظ أسلوب القصر في البيت الثاني في قوله: (لم يكن وصلك إلا حلماً) إذ قصر الوصل على الحلم، وفي البيت العاشر في قوله: (وطر ما فيه من عيب سوى أنه مرّ كلمح البصر) حيث قصر العيب في المرور السريع، وهذا محسّن بديعي فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم.

كما نلاحظ التعليل الجميل في البيت الأخير حيث شبه النجوم بشخص أصابته الغيرة والحسد من لقائهما في ظلام الليل، فذهبت هذه النجوم واختفت لترسل الصباح، ليفرق شملهما ويبدد سعادتهما.

وشبه أزهار النرجس في قوله:(ربما أثرت فينا عيون النرجس) بعيون شخص حاسد، فأصابته أزهارها كما تصيب عين الحاسد المحسود.

أسئلة وتدريبات

١– مَنْ لسان الدين بن الخطيب ؟ اذكر أهمّ آثاره .

٢– بِمَ تميز أسلوبه ؟

٣– بدأ لسان الدين في هذا الموشح بدعاء تقليدي، بينه، ووضح رأيك فيه .

٤– اقرأ البيتين الآتيين، ثم أجب عن الأسئلة التي تليهما :

إذ يقودُ الدهرُ أشتاتَ المنى   تنقلُ الخَطْوَ على ما يرسمُ

زُمَراً بين فُرادى وثُنَى   مثلما يدعو الوُفُودَ الموسمُ

أ – انثر البيتين السابقين .

ب– ما قيمة التعبير بقوله : (أشتات المنى) من الناحية الفنية؟

جـ– أعرب ما تحته خط .

د– في البيت الثاني محسّن بديعي عيّنه، وبيّن رأيك فيه .

٥– استخرج من النص تورية، ووضح قيمتها الفنية .

٦– اقرأ البيتين الآتيين ثم أجب عن الأسئلة التي تليهما :

في ليالٍ كتمتْ سرَّ الهَوَى   بالدُّجى، لولا شموسُ الغُرَرِ

مال نجمُ الكأسِ فيها وهَوَى   مستقيمَ السيرِ سعدَ الأثَرِ

أ – في البيت الأول استعارة وضحها مبيناً سر جمالها .

ب– ما ألوان المحسنات في البيتين السابقين؟

جـ– استخرج من البيت الثاني تشبيهاً، وبين نوعه، موضحاً رأيك فيه .

٧– قال الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

هات من الموشح بيتاً على نمط البيت السابق .

٨– في البيت الأخير تعليل جميل لإقبال الصباح، وضح ذلك .

من العقد الفريد

لابن عبدربه

التعريف بالكاتب

هو أبو عمر شهاب الدين أحمد بن عبدربه الأندلسي، مولى هشام بن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان.

ولد سنة ٢٤٦هـ بقرطبة ونشأ فيها، وتثقف ثقافة عصره من فقه وتفسير وحديث ونحو وعروض وتاريخ وأدب. عُرف بميله للموسيقى، وظهر أثر ذلك كله في كتابه "العقد الفريد" ففيه الثقافة الدينية واضحة، والثقافة الأدبية واضحة، وميله إلى الغناء والموسيقى والوجه الحسن واضح.

وقد لازم أمير قرطبة سنة ٢٧٥هـ، ونادمه ومدحه زمناً، فلما مات هذا الأمير سنة ٣٠٠هـ تولى بعده عبدالرحمن الناصر أول من لقب بأمير المؤمنين، فاتصل به ولازمه ومدحه.

كان ابن عبدربه شاعراً، وأديباً يقول فيه الفتح بن خاقان: "إنه حجة الأدب، وإن له شعراً انتهى منتهاه، وتجاوز سماك الإحسان وسهاه".

عابوا على ابن عبدربه أن كتابه "العقد الفريد" عني بأدب المشرق، وكان الأولى أن يعنى بأدب الأندلس منشئه ومرباه، حتى إن الصاحب بن عباد قال لما وصل إليه العقد الفريد: "هذه بضاعتنا رُدت إلينا" لأنه لم يضف – في رأيه – إلى أدب المشرق شيئاً.

ومع ذلك لم يغفل ابن عبدربه بلاده إغفالاً تاماً في كتابه هذا، فقد عارض بشعره كثيراً من شعر المشارقة.

وكتاب "العقد الفريد" مختارات أدبية مكون من ستة أجزاء مثله مثل كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، و"الكامل" للمبرد، و"الأمالي" لأبي علي القالي،

و"عيون الأخبار" لابن قتيبة، وغيرها.

تصوّر ابن عبدربه كتابه هذا عقداً ، وسماه كذلك مؤلفاً من خمس وعشرين جوهرة كريمة ، اثنتا عشرة في جانب واثنتا عشرة في الجانب الثاني ، تتوسطهما جوهرة تسمى الواسطة.

في كل جانب هناك لؤلؤة وفريدة وزبرجدة وجمانة ومرجانة وياقوتة وجوهرة وزمرّدة ودرّة ويتيمة وعسجدة ومجنِّبة.

وقد قاده هذا الخيال اللطيف إلى أن يقسِّم هذه الجواهر ، فاللؤلؤة الأولى في السلطان ، واللؤلؤة الثانية في الفكاهات والملح ، والفريدة الأولى في الحروب والثانية في الطعام والشراب . .إلخ.

يقول ابن عبدربه في مقدمة كتابه" ألفْتُ هذا الكتاب وتخيرت جواهرهُ من متخير جواهر الآداب، ومحصول جوامع البيان، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب . . لي فيه تأليف الأخبار وفضل الاختيار وحسن الاختصار . . واختيار الكلام أصعب من تأليفه ، قال الشاعر:

قد عرفناك باختيارك إذ كا ... ن دليلاً على اللبيب اختياره

وقال أفلاطون: عقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم، وظاهرة في حسن اختيارهم" .

توفي ابن عبدربه بالفالج سنة ٣٢٧هـ.

النص(١)

قال الشيباني: حدثنا محمد بن زكريا عن عباس بن الفضل الهاشمي عن قَحْطَبَة بن حُمَيد قال: إني لواقف على رأس المأمون يوماً وقد جلس للمظالم ، فكان آخر من تقدم إليه – وقد همّ بالقيام – امرأة عليها هيئة السفر ، وعليها ثيابٌ رثّة ، فوقفتْ بين يديه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

(١) العقد الفريد ، ج١ ، ص ٥٨

فنظر المأمون إلى يحي بن أكثم. فقال لها يحي: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمي بحاجتك، فقالت:

يا خير منتصف يهدى له الرَّشَدُ ويا إماماً به قد أشرق البلد
تشكو إليك - عميدَ القوم - أرملَةٌ عُديْ عليها فلم يُترك لها سبد
وابتُز مني ضياعي بعد مَنْعتها ظلماً وفُرِّق مني الأهلُ والولدُ

فأطرق المأمون حيناً، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

في دون ما قلتِ زال الصبرُ والجَلدُ عنِّي وأُقرح مني القلب والكبدُ
هذا أذان صلاةِ العصر فانصرفي وأحضري الخَصْمَ في اليوم الذي أَعِدُ

قال: فلما كان ذلك اليوم جلس، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة، فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام، ثم قال: أين الخصم؟، فقالت: الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين، وأومأت إلى العباس ابنه، فقال: يا أحمدُ بن أبي خالد، خذْ بيده فأَجلسْه معها مجلسَ الخصوم.

فجعل كلامُها يعلو كلام العباس، فقال لها أحمد بن أبي خالد: يا أمةَ الله، إنكِ بين يدي أمير المؤمنين، وإنك تُكلِّمين الأمير، فاخفضي من صوتك. فقال المأمون: دعها يا أحمد، فإن الحقَّ أنطقها، والباطلَ أخرسه، ثم قضى لها برد ضَيْعتها إليها، وظَلَمَ العباسَ بظلمه لها، وأمر بالكِتاب لها إلى العامل الذي ببلدها أن يوغر لها ضيعتها، ويحسن معاونتَها، وأَمر لها بنفقة.

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

رثة: بالية متواضعة، **سبد**: شعر والمقصود لم يترك لها شيء، **ضياع**: جمع ضيعة وهي العقار الواسع والمزروع، **أطرق**: صمت وفكر، **يوغر لها الضيعة**: يسقط عنها الخراج.

إضـــاءة

هذا النص حكاية مضمونها أن امرأة أُخذ حقها من قبل ابن الخليفة، فسافرت إلى بغداد، وأتت الخليفة المأمون لترفع شكواها شعراً، فجاء ردُّ المأمون بالطريقة نفسها.

وفي يوم الجلسة المخصصة للنظر في القضية أمر المأمون أحمد بن يحيى أن يجلس العباس في المكان المخصص للخصم أو المدعى عليه وابتدأت هي الكلام.

وقد انتهت جلسة الحكم بأن كسبت المرأة القضية بإعادة ضيعتها وإسقاط الخراج (الضرائب) عنها، ومنحها نفقة، وإحسان معاملتها، وذلك لأن العباس صمت صمت المذنب، فبان الحق.

تحليل وتـذوّق

يرقى النص إلى مستوى الحكاية القادرة على البقاء والتناقل والتداول لعدة أسباب يمكن إجمالها بما يأتي:

١- ما تتضمنه هذه الحكاية من مدلول فيما يخص العدل والحق الذي اشتهرت به شخصيات عديدة من بداية الدولة الإسلامية إبان مجدها وحضارتها الزاهرة.

٢- الطرافة في طرح الشكوى والمظلمة شعراً. فقد أثر ذلك في إظهار حال المرأة المسلوبة الحق، مما جعلها تكسب تعاطف الخليفة، خصوصاً مجيئها من بعيد "عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة" هذا إلى جانب حساسية الخليفة في الحق والعدل:

في دون ما قلتِ زال الصبر والجلدُ   عني وأقرح منّي القلبُ والكبِدُ

وقد يقال: إن الشعر قيل على لسانيهما فيما بعد إعجاباً وتأثراً.

٣- كسب المرأة للقضية في الجلسة الأولى.

٤- ما تتضمنه الحكاية عن حال المظلوم الذي يجد في رفع الصوت تنفيساً وتمنياً في إزالة الظلم عنه، ومقابل ذلك إصابة الظالم بالخرس.

أسئلة وتدريبات

١- أين نشأ ابن عبدربه ؟ وما طبيعة ثقافته ؟

٢- ماذا قال عنه الفتح ابن خاقان ؟

٣- من قائل العبارة: «بضاعتنا رُدت إلينا» ؟ وماذا أراد بها ؟

٤- لِمَ سمى ابن عبدربه كتابه «العِقد الفريد»؟

٥- بم امتدح ابن عبدربه اختيار الكلام ؟

٦- ما فائدة الجملة الاعتراضية «وقدهم بالقيام» ؟

٧- وضح مدلول التعبير «ويا إماماً به قد أشرق البلد» .

٨- لِمَ ارتفع صوت المرأة وخرس العباس ؟

٩- أعرب كلمة «عميد» في قول المرأة «تشكو إليك - عميد القوم» .

١٠- اجعل كلمة «منشئه» في قوله: (بأدب الأندلس منشئه ومرباه) مبتدأ.

المجال الثاني:
البـــلاغـــة

- التقديم والتأخير .
- القصر .
- المساواة والإيجاز والإطناب .

التقديم والتأخير

الأمثلة

-أ-

١- قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١)

٢- قال الشاعر:

وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا

٣- براءة المتهم حكم بها القاضي. ٤ - الهزيمة أصيب بها العدو.

٥- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾(٢)

-ب-

١- قال تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾(٣)

٢- قال الشاعر:

من أرضِ بلقيسَ هذا اللحنُ والوتر من جوِّها هذه الأنسامُ والسَّحَرُ

٣- ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

٤- قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾(٤)

-جـ-

١- قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾(٥)

٢- حُسْنَ الخُلُقِ لَزِمْتُ..

٣- وإلى الله ترجع الأمور.

٤- مبكِّراً خرجت إلى العمل.

٥- قال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ ﴾(٦)

(١) الحجرات آية: ١٣، (٢) المؤمنون آية: ٥٧، (٣) الكافرون آية: ٧
(٤) مريم آية: ٤٦، (٥) الفاتحة آية: ٥، (٦) طه آية: ٦٧.

التـــوضـــيح

ما من جملة عربية إلا وتتكون من مسند ومسند إليه ومتعلقات، والمسند إليه هو المبتدأ أو الفاعل، والمسند هو الخبر أوالفعل، وما عدا ذلك يسمى متعلقات الفعل، ويشمل أكثر المنصوبات والمجرورات وغيرها .

والتقديم والتأخير يشمل مكونات الجملة الثلاثة السابقة؛ إذ يتركّب نظام الجملة العربية وفقاً للغرض البلاغي، والمعنى الذي قصد إليه المتكلم، لأن الألفاظ قوالب المعاني، ولذلك يجب أن يكون ترتيبها وفقاً لترتيب المعنى المراد.

وإذا تأملنا الأمثلة السابقة وجدنا أن أمثلة المجموعة (أ) تمثل القسم الأول من أقسام التقديم وهو تقديم المسند إليه، ففي المثال الأول قُدِّم المسند إليه « أكرمكم » على المسند « أتقاكم » والغرض من هذا التقديم تمكين الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقاً إليه.

وفي المثال الثاني قُدِّم المسند إليه « أنا » على المسند « أسقمت » و« أضرمت » والغرض من ذلك هو التخصيص، أي أنه نفى كون المتكلم هو المختص بالسقم والإضرام، ليثبت أن المختص بذلك غيره.

وفي المثال الثالث قُدِّم المسند إليه « براءة » على المسند « حكم بها القاضي » لغرض بلاغي وهو تعجيل المسرَّة إلى نفوس المخاطبين. ومثل ذلك المثال الرابع والغرض هو تعجيل المساءة.

وفي المثال الخامس قدم المسند إليه « الذين » على المسند « مشفقون » لغرض تقوية الحكم وتقريره لدى السامع، فهذا أبلغ في تأكيد الإشفاق والخوف من الله.

أما أمثلة المجموعة الثانية (ب) فتمثل القسم الثاني من أقسام التقديم وهو تقديم المسند.

ففي المثال الأول قُدِّم المسند « لكم » على المسند إليه « دينكم » لغرض التخصيص أي اتصافكم بدينكم واتصافي بديني، وفي المثال الثاني قدم البردوني المسند (من أرض بلقيس) على المسند إليه (هذا) والغرض من هذا التقديم هو الاهتمام بالمقدم، فالبردوني معتزّ بوطنه « أرض بلقيس » وقد ملكت عليه حواسه؛ فبدأ بها مقدماً الخبر على المبتدأ.

وفي المثال الثالث قدّم الشاعر الخبر(ثلاثة) على المسند إليه المبتدأ (شمس الضحى) لغرض التشويق إلى ذكره، فتقديم المسند يجعل المخاطب يتطلع إلى معرفة هؤلاء الثلاثة.

ويأتي المثال الرابع فيبدأ بالمسند لكونه محطّ الإنكار والتعجب «أراغب» ويتأخر المسند إليه «أنت» لأن المعنى المراد هو الإنكار على إبراهيم (رَغْبَتُه عن الآلهة) أي كراهيته لها.

ثم تأتي أمثلة المجموعة الثالثة (جـ) لتمثل القسم الثالث من أقسام التقديم، وهو تقديم متعلقات الفعل، من مفعولات ومجرورات وظروف، وغيرها. فنرى في المثال الأول تقديماً للمفعول به «إياك » على الفعل «نعبد» والغرض البلاغي من هذا التقديم التخصيص، والقصر، أي جعل العبادة خاصة بالله دون سواه، وهذا التخصيص لاتؤديه الجملة مع تأخير المفعول «إياك».

وفي المثال الثاني قُدِّم المفعول به «حُسْنَ» على الفعل «لَزِمْتُ» لغرض الاهتمام بالمتقدم؛ إذ الغرض هنا ليس مجرد الالتزام، وإنما التزام حسن الخلق، ومثله تقديم الجار والمجرور في المثال الثالث.

وفي المثال الرابع نرى تقديماً آخر لأحد متعلّقات الفعل، والمقدم هنا هو «مبكّراً» والأصل في الحال أن يأتي بعد صاحبه «جاء محمد ضاحكاً» وإنما قدم هنا لغرض بلاغي هو الاختصاص حيث خصّ الخروج بالتبكير.

ومثله قوله تعالى: ﴿ فأوجس... ﴾ فهنا قدّم الجار والمجرور «في نفسه»، والمفعول به «خيفة» وأخّر الفاعل «موسى» وهنا يأتي التقديم والتأخير لغرضين بلاغيين:

الأول: الاختصاص حيث خصّ الإضمار«أوجس» بالخوف.

الثاني: مراعاة نظم الكلام لأن عدم التقديم والتأخير يخلّ بتناسب الفواصل فقد جاءت فواصل الآى على الألف، قال تعالى:

﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ (١)

(١) طه : ٦٥:٦٨.

فكان للتقديم والتأخير أثره في تدفق الألفاظ وانسياب موسيقاها وحلاوة جرسها.

الخلاصة

التقديم والتأخير يأتي تبعاً للغرض البلاغي الذي يقصد إليه المتكلم، وللتقديم ثلاث حالات:

١ – تقديم المسند إليه (المبتدأ – الفاعل – نائب الفاعل)، ومن أغراضه البلاغية:
– تمكين الحكم في ذهن السامع.
– التخصيص.
– تعجيل المسرة أو المساءة.
– تقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع.

٢ – تقديم المسند: (الخبر – الفعل)، ومن أغراضه البلاغية:
– التخصيص.
– الاهتمام.
– التشويق.
– الإنكار والتعجب.

٣ – تقديم متعلقات الفعل: (المفعول به – الجار والمجرور – الظرف – الحال)، ومن أغراضه البلاغية:
– التخصيص والقصر.
– الاهتمام.
– مراعاة النظم (تناسب الفواصل، السجع، الضرورات الشعرية).

أسئلة وتدريبات

١- وضح الأَثر البلاغي للتقديم فيما يأتي:

قال أحمد شوقي:

وللأوطانِ في دمِ كلِّ حُـــرٍّ يدٌ سَلفت ودَينٌ مُـستَحَقُّ

قال محمد أحمد محجوب في الأندلس:

اللّه أكبرُ، (هذا الحسنُ أعرِفُهُ) رَيَّانَ يَضحكُ أعطافاً وأجفانا

قال الزبيري:

ليس إلا بالعلمِ يستيقظُ الشعـ ـبُ ويَمْحُو عنه الخطوبَ السودا

قال المقالح:

يومـاً تغنَّى في مَنَافينا القَدَرْ لا بدَّ من صنعا وإن طالَ السفَرْ

قال إيليا أبو ماضي:

مَن ليس يَسْخُو بما تَسْخُو الحياةُ بهِ فإنَّهُ أحمَقٌ بالحرصِ يَنْتَحِرُ

قال المعري:

تَعَبٌ كُلُّها الحياةُ فما أعـ ـجبُ إلا مِن راغِبٍ في ازديادِ

٢- بين نوع التقديم والغرض منه فيما يأتي:

قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١)

قال تعالى:

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ﴾ (٢)

قال القاضي الفاضل في الصليبيين المتحصنين في القدس:

«وظنوا أنها من الله مانعتهم».

---

(١) آل عمران آية: ١٨٩، (٢) الحاقة آية: ٣٠، ٣١.

قال المقالح:

شاحبة مثل لون الغروب أحاديثنا.

٣– انثر الأبيات الآتية، مبيناً مواطن التقديم، موضحاً أثره في نفسك:

أراكَ عصيَّ الدمعِ شيمتُكَ الصبرُ أما للهوى نهيٌ عليكَ ولا أمرُ

بلى أنا مشتاقٌ وعندي لوعةٌ ولكنّ مثلي لا يُذاعُ له سرُّ

إذا الليلُ أضواني بسطتُ يدَ الهوى وأذللتُ دمعاً من خلائقهِ الكِبرُ

تكادُ تضيءُ النارُ بين جوانحي إذا هي أذكتْها الصبابةُ والفِكْرُ

٤– مثّل لما يأتي في جمل من إنشائك:

– مفعول به مقدم.

– تقديم الغرض منه التشويق.

– تقديم الغرض منه تعجيل المسرة.

– ظرف زمان تقدّم.

القصـــــر

١ تعريفه ـ طرقه ـ طرفاه

الأمثلة:

١- قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ (١) .

٢- قال (ﷺ) : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

٣- قال تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ (٢) .

٤- قال الشاعر :

عـمـرُ الفـتـى ذكـرُهُ لاطولُ مـدَّتِه ... ومـــوتـه خِـــزيُه لا يومُـــهُ الدَّاني

٥- وقال الشاعر :

ليس اليـتـيـمُ الذي قـد مـات والدُه ... بل اليـــتـــيـمُ يتـيـمُ العلمِ والأدبِ

٦- نقول : ما الأرض ثابتة لكن متحركة .

التوضيح:

إذا نظرت إلى الأمثلة السابقة توضح لنا أن كل مثال منها يتضمن تخصيص أمر بآخر فالآية في المثال الأول توضح تخصيص الله بالألوهية وحده دون سواه، وأنها لا تتجاوزه إلى غيره.

وفي المثال الثاني يتضح لنا أن النبي ﷺ خصص بعثته، وقصرها على إتمام مكارم الأخلاق، وهذا التخصيص يؤكّد لنا أهمية القيم الأخلاقية في حياتنا.

وفي المثال الثالث، خصصت الآية ملك السماوات والأرض بالله دون سواه.

وفي المثال الرابع، خصص الشاعر العمر الحقيقي للإنسان وقصره على الذكر الحسن الذي يناله بسبب ما يقدمه للآخرين من منافع طيبة.

---

(١) البقرة، آية ٢٥٥ ،(٢) المائدة، آية ١٧ .

وفي المثال الخامس، نفى الشاعر أن يكون موت الأبوين يتماً، وقصره على يتم العلم والأدب، وعدَّ مَنْ فقد العلم والأدب هو اليتيم الحقيقي الذي يستحق الرحمة والشفقة والعزاء.

وفي المثال السادس، نفى عن الأرض الثبات وخصها بالحركة وقصرها عليها.

وإذا أردنا معرفة منشأ هذا التخصيص في الأمثلة السابقة وما شابهها علينا أن نتمعن في الأسلوب، وما هي أدواته وطرقه، لنرى أن منشأ التخصيص في المثال الأول هو النفي بـ(لا) والاستثناء بـ(إلا)، إذن فالنفي والاستثناء هما وسيلة التخصيص.

وفي المثال الثاني نشأ التخصيص عن الأداة (إنما) ومنشأ التخصيص في المثال الثالث هو تقديم الجار والمجرور «لله»، ومنشأ التخصيص في الأمثلة (٤، ٥، ٦) هو العطف بحروف مخصوصة هي (لا) كما في المثال الرابع، و(بل) كما في المثال الخامس، و(لكن) كما في المثال السادس.

وإذا تفحصنا الأمثلة السابقة مرة أخرى وجدنا أن الآية في المثال الأول قصرت الألوهية على الله، فالله موصوف والألوهية صفة، إذن قصرت الصفة على الموصوف.

وفي المثال الثاني قصر النبي ﷺ نفسه على تتميم مكارم الأخلاق أي أنه قصر الذات على الصفة، وهذا النوع من القصر يسمى قصر الموصوف على الصفة. وهكذا في سائر الأمثلة فكل منها يشتمل على مقصور، ومقصور عليه، وهما طرفا القصر. وهذان الطرفان يكونان إما قصر صفة على موصوف، أو قصر موصوف على صفة، فالمقصور عليه هو المستهدف من أسلوب القصر دائماً.

الخلاصة

١ – القصر: تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص..

٢ – أشهر طرق القصر هي:

أ – النفي والاستثناء وهنا يكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء.

ب – (إنما) وهنا يكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً.

جـ – تقديم ما حقه التأخير وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم.

د – العطف بلا أو بل أو لكن، فإذا كان العطف بـ(لا) كان المقصور عليه مقابلاً

لما بعدها، وإن كان العطف بـ(بل) أو (لكن) كان المقصور عليه ما بعدهما.

٣ – لكل قصر طرفان مقصور، ومقصور عليه؛ وينقسم القصر باعتبار طرفيه إلى قسمين:

أ – قصر صفة على موصوف.

ب – قصر موصوف على صفة.

٢ تقسيم القصر إلى حقيقي وإضافي

الأمثلة:

١– لا يدخل مكة إلا المسلمون.

٢– ما من خالق غير الله.

٣– الشاعر شوقي لا المنفلوطي.

٤– قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

التوضيح:

في الفقرة الأولى من أسلوب القصر عرفنا أنه ينقسم بحسب طرفيه إلى قصر صفة على موصوف، وقصر موصوف على صفة، بيد أننا هنا أمام تقسيم آخر ليس منشؤه الصفة والموصوف، وإنما منشؤه اعتبار آخر هو الحقيقة.

لنتأمل المثالين: الأول والثاني، لنجد أنهما قصر صفة على موصوف، فالأول يقصر صفة دخول مكة على المسلمين، بحيث لا تتجاوزهم إلى سواهم في الحقيقة وفي الواقع، والثاني يقصر صفة الخلق على الله بحيث لا تتعداه إلى غيره أبداً، وفي المثالين يختص المقصور بالمقصور عليه ولا يتجاوزه إلى غيره.

وإذا كان القصر كذلك سمي قصراً حقيقياً.

أما إذا تأملنا المثالين: الثالث والرابع، فسنجد أن المتكلم في المثال الثالث قصر الشاعرية على شوقي أي إنه قصر صفة على موصوف، لكن هذا القصر ليس حقيقياً وإنما بالنسبة إلى شيء آخر هو« المنفلوطي » لأن شعراء آخرين ينافسون(أحمد شوقي)

---

(١) الغاشية (٢١).

في الشاعرية، وهذا النوع من القصر يسمى قصراً إضافياً لأنه بالإضافة إلى شيء معين.

وفي االآية الكريمة (المثال الرابع) قصرت الآية النبي ﷺ على التذكير وهو قصر موصوف على صفة، وهذا في واقع الحال هو قصر نسبي، لأن الواقع يقول: إن النبي ﷺ اتسم بصفات كثيرة، ولا يعقل أن يقصر على صفة التذكير فحسب، بيد أننا لو نظرنا هذه الصفة «التذكير» في مقابل «الهداية» فإن النبي ﷺ مذكِّر وليس بهادٍ هداية توفيق [1] إذن فالقصر هنا قصر إضافي قصره على التذكير بالنسبة إلى شيء آخر هو الهداية.

الخلاصة

ينقسم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين:

أ – حقيقي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع ولا يتجاوزه إلى غيره.

ب – إضافي: وهو ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين.

---

(١) االهداية عند العلماء هدايتان:

أ – هداية إرشاد وهذه وظيفة الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ الشورى آية: ٥٢.

وقال تعلى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝ ﴾ الرعد: ٧.

ب – هداية توفيق وهذه اختص بها الله ونفاها عن غيره قال تعالى:

﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

أسئلة وتدريبات

١– عرف القصر واذكر أقسامه باعتبار الطرفين .

٢– مثل لثلاث من طرق القصر .

٣– بين طرفي القصر وطريقته ونوعه في كل مثال مما يأتي :

أ – قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]

ب – وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[2].

جـ – وقال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[3]

د – وقال الشاعر :

إلى الله أشكو أن في النفس حاجة تمر بها الأيام وهي كما هيا

هـ – الكريم يشكره الكرام لا اللئام

و – ليس العلم في الكتب بل ما حوته الصدور .

٤– حول الجمل الآتية إلى أسلوب قصر منوعاً طرق القصر :

أ – المسلم أخو المسلم .

ب – العلماء مصابيح الهداية في الأمة .

جـ – الكتاب جليس صالح .

د – اتق شر من أحسنت إليه .

هـ – دواء الأحمق البعد عنه .

و – الحلم سيد الأخلاق .

ز – إن الطيور على أشكالها تقع .

ي – الصحة تاج على رؤوس الأصحاء .

٥– قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾[4]

حلل أسلوب القصر في الآية الكريمة موضحاً نوع القصر من حيث الحقيقة والواقع .

(١) الرعد ٤٠ ، (٢) هود آية : ٨٨ ، (٣) الفاتحة آية : ٥ ، (٤) الرعد آية : ٧

المســـاواة والإيجـــاز والإطناب

الأمثلة:

١- قال تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾ (١).

٢- قال طرفة:

ستبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيكَ بالأخبارِ من لم تُزوِّدِ

٣- قال ﷺ: «الضعيف أمير الركب».

٤- قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢).

٥- قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ (٣)

٦- قال تعالى: ﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (٤).

٧- قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٥).

٨- قال عنترة بن شداد:

يدعون عنترَ والرماحُ كأنها ... أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدْهَمِ

يدعون عنترَ والسيوفُ كأنها ... لَمْعُ البوارقِ في سحابٍ مظلمِ

٩- قال الشاعر:

إنَّ الثمانين - وبُلِّغتَها ... قد أحوجتْ سَمْعي إلى تُرْجُمانْ

---

(١) المزمل الآية: ٢٠، (٢) الفجر، الآية: ٢٢، (٣) القدر الآية: ٤، (٤) نوح الآية: ٢٨، (٥) الحجر الآية: ٦٦.

التوضيح:

قد يختار البليغ – للتعبير عما في نفسه – الإيجاز، أو الإطناب، أو أنه يأتي بالكلام في موضع متوسط يتساوى فيه المعنى مع الكلمات على حسب حال المخاطب والظروف الأخرى.

تأمل الآية الأولى والمثال الذي يليها تجد الألفاظ فيهما بقدر المعاني، بحيث يصعب ويتعذر زيادة لفظ، كما أن إسقاط لفظ من أحد هذين المثالين يجعل المعنى مختلاً، فالألفاظ فيهما مساوية للمعاني. ولذلك يسمى أداء الكلام بهذه الصورة مساواة.

تأمل المثالين (الثالث، والرابع) تجد أن الألفاظ في كل منهما جمعت معاني كثيرة متزاحمة، أي إن المعنى أكبر وأوسع من اللفظ، فحديث الرسول –ﷺ– جمع آداب السفر، والعطف على الضعيف في ثلاث كلمات. والآية الكريمة حذفت منها كلمة ، إذ أن تقدير الكلام :وجاء أمر ربك، فالإيجاز في المثال الثالث إيجاز قَصْر، وفي المثال الرابع إيجاز حذف.

تأمل الأمثلة : (الخامس، والسادس، والسابع، والثامن، والتاسع) تجد أن في كل منها زيادة في اللفظ على المعنى.

ففي المثال الخامس **ذكر للخاص بعد العام** خص الله – سبحانه وتعالى – الروح بالذكر (وهو جبريل) مع أنه داخل في عموم الملائكة تكريماً له وتعظيماً لشأنه، كأنه جنس آخر، ففائدة الزيادة هنا التنويه بشأن الخاص.

وفي المثال السادس **ذكر للعام بعد الخاص** ذكر الله – سبحانه وتعالى – المؤمنين والمؤمنات، وهما لفظان عامان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك، والغرض من هذه الزيادة إفادة الشمول، مع العناية بالخاص مرتين، مرة منفرداً، ومرة مندرجاً تحت العام.

وفي المثال السابع نجد **الإيضاح بعد الإبهام** في قوله تعالى :

﴿ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الحجر :٦٦ . فالإيضاح جاء بعد الإبهام الذي تضمنه لفظ ((الأمر)) السابق الذكر، وذلك لزيادة تقرير المعنى في ذهن

السامع، بذكره مرتين، مرة على طريق الإجمال والإبهام، ومرة على طريق الإيضاح والتفصيل.

وفي المثال الثامن نجد **التكرار** في بيتي عنترة لتقرير المعنى في نفس السامع وتثبيته، وهذا شائع في الخطابة وفي مواطن الفخر والمدح والإرشاد والإنذار وغير ذلك.

وفي المثال التاسع نجد **الاعتراض** – وهو جملة لا محل لها من الإعراب– قد جاء للإسراع إلى الدعاء بأن يبلغ المخاطب عمر الثمانين عاماً رغم مشاق هذا البلوغ.

الخلاصة

تعريف المساواة والإيجاز والإطناب كالآتي:

١– المساواة: أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني.

٢– الإيجاز: وهو تضمين معان كثيرة في ألفاظ قليلة مع الإبانة والإفصاح، وهو نوعان:

أ– إيجاز قِصَر؛ ويكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف.

ب– إيجاز حذف، ويكون بحذف كلمة أو جملة مع قرينة تعين المحذوف.

٣– الإطناب: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ويكون بصور متنوعة.

أ – ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص.

ب– ذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم، مع العناية بشأن الخاص.

جـ– الإيضاح بعد الإبهام لتقرير المعنى في ذهن السامع.

د– التكرار لتقرير المعنى.

هـ– الاعتراض.

أسئلة وتدريبات

١– حدد المساواة والإيجاز، ونوعهما فيما يأتي:

– قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾[1].

– قال النابغة الذبياني:

فـإنكَ كـالليلِ الذي هو مـدركي ... وإن خلتُ أنَّ الـمُنْتَـأى عنك واسعُ

– قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[2].

– قيل لأعرابي يسوق مالاً كثيراً: لمن هذا المال؟ فقال: لله في يدي.

٢– حدد الإطناب ونوعه فيما يأتي:

١– قال ابن المعتز يصف فرساً:

صَبَبْنا عليها – ظالمين – سياطَنا ... فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

٢– قال تعالى:

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) ﴾[3]

٣– قال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣)﴾[4].

٤– قال تعالى:

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾[5].

(١) فاطر لآية :٤٣، (٢) الأعراف الآية: ٥٣، (٣) الأعراف من الآية: (٩٧– ٩٨)، (٤) الشعراء الآيتان: (١٣٢–١٣٣)، (٥) البقرة الآية: ٢٣٨.

المجال الثالث:

علم العَرُوض

- الكامل.
- البسيط.
- الخفيف.
- المتقارب.

عِلْـمُ الْـعَــرُوض

بحــور الشعــــر

تحدثنا في الجزء الأول عن نشأة علم العروض، وعن التفعيلات التي تتكون منها بحور الشعر العربي، وبيَّنا قواعد الكتابة العروضية، ثم أوردنا مثالين لبحري الطويل، والوافر. وفي هذا الجزء سنتناول شرح أربعة بحور من بحور الشعر العربي هي: (الكامل والبسيط والخفيف والمتقارب).

بحر الكامل:

- **وزنه:**

مُـتَـفَـاعِلُنْ / مُـتَـفَـاعِلُنْ / مُـتَـفَـاعِلُنْ مُـتَـفَـاعِلُنْ / مُـتَـفَـاعِلُنْ / مُـتَـفَـاعِلُنْ

- والمفتاح التي يَضبطه، ويُسهل حفظه:

كمل الجمال من البحور الكامل مُـتَـفَـاعِلُنْ مُـتَـفَـاعِلُنْ مُـتَـفَـاعِلُنْ

- يأتي بحر الكامل تاماً، ومجزوءاً ؟
- التام تتكرر فيه تفعيلة (مُتَفَاعِلُنْ) ثلاث مرات في الصدر وبما يماثلها من تفعيلات في العجز، كما هو الحال في وزنه المذكور آنفاً.
- المجزوء تتكرر فيه تفعيلة (مُتَفَاعِلُنْ) مرتين في الصدر، ومرتين في العجز على النحو الآتي:

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

- **ما يجوز في تفعيلاته من تغيير:**

أ – يجوز في تفعيلات بحر الكامل (التام) التغييرات الآتية:

– قد تأتي من تفعيلة (مُتَفَاْ عِلُنْ) التفعيلات الآتية:

///ه//ه

١– (مُتْفَاْ عِلْ) التي هي – أيضاً – على (فَعْـلَاْ تُنْ) وعلى (مَفْعُوْ لُنْ).

/ه/ه/ه /ه/ه/ه /ه/ه/ه

٢– (فَعْلُنْ) التي هي – أيضاً – على (مُتْفَاْ) .
/ه/ ه   /ه/ ه

٣– (فَعِلُنْ) التي هي – أيضاً – على (مُتَفَاْ) .
/// ه   /// ه

٤– (مُتَفَاْ عِلْ) التي هي – أيضاً – على (فَعِـلاْ تُنْ) .
/// ه / ه   /// ه / ه

٥– (مُتْفَاْ عِلُنْ)
/ه/ ه // ه

ب – يجوز في تفعيلات بحر الكامل (المجزوء) التغييرات التالية :

– أن تأتي من تفعيلة (مُتَفَاْعِلُنْ) التفعيلات الآتية :
/// ه // ه

١– (مُتَفَاْ عِلْ) التي هي على (فَعِـلَاْ تُنْ) .
/// ه / ه   /// ه / ه

٢– (مُتَفَاْعِلَاْ تُنْ)
/// ه // ه/ه

٣ – (مُتْفَاْ عِـلَاْ نْ) .
/ه/ ه //هه

٤ – (مُتَفَاْعِـلَاْنْ) .
/// ه //هه

– **أمثلة على بحر الكامل (التام) :**

١ – قال عنترة :

ولقـد شـفى نفـسي وأبرأ سُـقْـمَـهـاْ   قـيلُ الفـوارس ويك عنتـرَ أقْـدِمِ

وَلَقَدْ شَفَىْ / نَفْسِيْ وَأَبْ / رَأَ سُقْمَهَاْ   قِيْلُلْفَوَاْ / رِسِ وَيْكَعَنْ / تَرَ أقْدِ مِيْ

/// ه // ه | /ه/ه // ه | /// ه // ه   /ه/ ه // ه | /// ه // ه | /// ه // ه

مُتَفَاْعِلُنْ / مُتْفَاْعِلُنْ / مُتَفَاْعِلُنْ   مُتْفَاْعِلُنْ / مُتَفَاْعِلُنْ / مُتَفَاْعِلُنْ

٢– وقال – أحمد شوقي في مدح النبي محمدﷺ وآله:

ولد الهـدى فـالكائنات ضـيـاء   وفم الزمـان تبـسمٌ وثناءُ

وُلِدَ لْ هُدَى ْ/ فَلْ كَـائِنَا ْ/ تُضِـيَـاءُوْ   وَفَمُزْزَمَا ْ / نَتَبَسْ سُمُنْ / وَثَنَاءُ وْ

///٥//٥ |/٥/٥//٥ |///٥/٥   ///٥//٥ |///٥//٥ |///٥/٥

مُتَفَاعِلُنْ / مُتْفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلْ   مُتَفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلْ

=(فَعِلاتُنْ)   =(فَعِلاتُنْ)

٣– وقال الشاعر:

إنَّ الكرام إذا صحـبـتـهُمُ   ستروا القبيح وأظهروا الحَسَنَا

إنْنَلْ كِرَا ْ / م إِذَاْ صَحِبْ / تَهُمُوْ   سَتَرُلْقَبِي ْ / ح وَأَظْهَرُلْ / حَسَنَا ْ

/٥/٥//٥ |///٥/٥// |///٥   ///٥//٥ |///٥//٥ |///٥

مُتْفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ / فَعِلُنْ   مُتَفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ / فَعِلُنْ

=(مُتَفَا)   =(مُتَفَا)

– أمثلة على بحر الكامل (المجزوء):

١– قال إيليا أبو ماضي:

وطن النجوم أنا هنا   حدّقْ أتذكر مَنْ أنَاْ

وَطَنَنْ نُجُو ْ / مُأَنَاْ هُنَاْ   حَدْدِقْ أَتَذْ / كُرُ مَنْ أنَاْ

///٥//٥ | ///٥//٥   /٥/٥//٥ | ///٥//٥

مُتَفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ   مُتْفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ

٢– وقال الشاعر:

الظّلم يصرع أهله   والبغي مرتعه وخيمْ

أَظْظُلْمُ يَصْ / رَعُ أَهْلَهُو   وَلْبَغْيِ مَرْ / تَعَهُو وَخِيمْ

/٥/٥//٥ | ///٥//٥   /٥/٥//٥ | ///٥//٥٥

مُتْفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ   مُتْفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلانْ

بحر البسيط:

– **وزنه:**

مُسْتَفْعِلُنْ / فَاعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ / فَاعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / فَعِلُنْ

– المفتاح الذي يضبطه، ويسهل حفظه:

إن البسيط لديه يُبسَطُ الأمل مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ

– يأتي بحر البسيط تاماً، ومجزوءاً.

- فالتامّ يأتي – بحسب ماورد في وزنه – بأربع تفعيلات في الصدر، وبما يماثلها من تفعيلات في العجز على النحو المذكور في وزنه آنفاً.
- المجزوء يأتي بثلاث تفعيلات في الصدر، وبما يماثلها في العجز، وعلى النحو التالي:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

مجزوء البسيط نادر في الشعر العربي لهذا سنكتفي بإيراد أمثلة على بحر البسيط التام.

– يجوز في تفعيلات بحر البسيط (التام) التغييرات الآتية:

– أن تأتي تفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ) على (مُتَفْعِلُنْ)

/٥/٥//٥   //٥//٥

– وتأتي تفعيلة (فَعِلُنْ) على (فَعْلُنْ)

///٥   /٥/٥

– كما تأتي تفعيلة (فَاْعِلُنْ) على (فَعِلُنْ) وعلى (فَعْلُنْ)

/٥//٥   ///٥   /٥/٥

– **أمثلة على بحر البسيط (التام):**

١– قال الشاعر:

ياساهراً لعبت أيدي الفراق به   فالصّبر خاذلُهُ والدمعُ ناصِرُهُ

يَاْسَاْهِرَنْ / لَعِبَتْ / أَيْدِلْفِرَاْ / قِبِهِيْ   فَصْصَبْرُخَاْ / ذِلُهُوْ / وَدْدَمْعُ نَاْ / صِرُهُوْ

/٥/٥//٥ | ///٥ | /٥/٥//٥ | ///٥   /٥/٥//٥ | ///٥ | /٥/٥//٥ | ///٥

مُسْتَفْعِلُنْ / فَعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / فَعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ / فَعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / فَعِلُنْ

٢– قال ابن زيدون:

أضـــحى الـتـنـائي بـديلاً من تـدانـيـنا   وناب عن طيب لُقــيـــانا تَجَـــافَـــينا

أَضْ حَتْ تَنَاْ / ئِي بَدِيْ / لَنْ مِنْ تَدَاْ / نِيْ نَاْ   وَنَاْ بَعَنْ / طِيْ بِلُقْ / يَاْنَاْ تَجَـاْ / فِيْ نَاْ

/٥/٥//٥ | /٥//٥ | /٥//٥/٥ | /٥/٥   //٥//٥ | /٥//٥ | /٥/٥//٥ | /٥/٥

مُسْتَفْعِلُنْ / فَاْ عِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / فَعْلُنْ   مُتَفْعِلُنْ / فَاْ عِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / فَعْلُنْ

٣– قال الشاعر:

جـاءت مـعـذّبـتي في غـيـهب الغـسق   كـــأنهــــا الكـوكـب الدُرّيُّ في الأفق

جَاْءَتْ مُعَذْ / ذِ بَتِيْ / فِيْ غَيْ هَبِلْ / غَسَقِيْ   كَأَنْ نَهَلْ / كَوْكَبُدْ / دُرْرِيْ يُفِلْ / أُفُقِيْ

/٥/٥//٥ | ///٥ | /٥/٥//٥ | ///٥   //٥//٥ | /٥//٥ | /٥/٥ //٥ | ///٥

مُسْتَفْعِلُنْ / فَعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / فَعِلُنْ   مُتَفْعِلُنْ / فَاْ عِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / فَعِلُنْ

بحر الخفيف:

– وزنه:

فَـاْعِـلَاْ تُنْ / مُـسْـتَـفْـعِلُنْ / فَـاْعِـلَاْ تُنْ   فَـاْعِـلَاْ تُنْ / مُـسْـتَـفْـعِلُنْ / فَـاْعِـلَاْ تُنْ

– المفتاح الذي يضبطه، ويُسهل حفظه:

يا خـفـيـفـاً خـفّتْ به الحـركـاتُ   فَـاْعِـلَاْ تُنْ / مُـسْـتَـفْـعِلُنْ / فَـاْعِـلَاْ تُنْ

– يأتي بحر الخفيف تاماً، ومجزوءاً، فالتامُّ يأتي –بحسب ماورد في وزنه– بثلاث تفعيلات في الصدر، وبما يماثلها من تفعيلات في العجز على النحوالمذكور في وزنه آنفاً.

- المجزوء يأتي بتفعيلتين في الصدر وبما يماثلهما في العجز على النحو التالي:

فَاْعِلَاْ تُنْ مُسْتَفْعِلُنْ   فَاْعِلَاْ تُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

– ما يجوز في تفعيلاته من تغيير:

يجوز في تفعيلات بحر الخفيف (التام) التغييرات التالية:

– تأتي تفعيلة (فَاْعِلَاْ تُنْ) على التفعيلات الآتية:

/٥//٥/٥

(فَعِلَاْ تُنْ) وعلى (فَعْلُنْ) وعلى (فَاْ لَاْ تُنْ)

///٥/٥   /٥/٥   /٥/٥/٥

التي هي – أيضاً – على (مَفْعُوْلُنْ) وعلى (فَاْعِلُنْ).

/٥/٥/٥ /٥//٥

– تأتي تفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ) على التفعيلات التالية:

/٥/٥//٥

– (مُسْتَعِلُنْ) وعلى (مُتَفْعِلُنْ) التي هي –أيضاً– على (مُفَاْعِلُنْ)

/٥///٥ //٥//٥ //٥//٥

– ويجوز في تفعيلات بحر الخفيف (المجزوء) التغييرات التالية:

– تأتي تفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ) على: – (مُتَفْعِلُنْ) وعلى (فَعُوْلُنْ)

/٥/٥//٥ //٥//٥ //٥/٥

أمثلة على بحر الخفيف التام:

١– قال المتنبي:

عِشْ عـــــزيزاً أو مُـتْ وأنت كــــــريمٌ ... بـين طعـنِ القَـنا وخـــــــفق البـنود

عِشْ عَـزِيْزَنْ / أَوْ مُتْ وَأَنْ / تَ كَـرِيْمُنْ ... بَـيْـنَ طَعْـنَـلْ / قَـنَـاْ وَخَفْ / قِـلْبُـنُـوْدِيْ

/٥//٥/٥ | /٥/٥//٥ | ///٥/٥ ... /٥//٥/٥ | //٥//٥ | /٥//٥/٥

فَـاْعِـلَاْتُنْ / مُـسْـتَـفْعِلُنْ / فَـعِـلَاْتُنْ ... فَاْعِـلَاْتُنْ / مُتَفْعِلُنْ / فَاْعِـلَاْتُنْ

٢– قال أبو العلاء المعرِّي:

غَـيْـرُ مُـجْـدٍ في ملّتي واعـتـقـادي ... نَـوْحُ بـاكٍ ولا تـرنّـمُ شـــــــــادِ

غَـيْـرُ مُـجْـدِنْ / فِيْ مِلَّتِيْ / وَعْـتِقَـاْدِيْ ... نَـوْحُ بَـاْكِنْ / وَلَاْ تَـرَنْ / نُـمُ شَــــاْدِيْ

/٥//٥/٥ | /٥/٥//٥ | /٥//٥/٥ ... /٥//٥/٥ | //٥//٥ | ////٥/٥

فَاْعِلَاْتُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / فَاْعِـلَاْتُنْ ... فَـاْعِـلَاْتُنْ / مُـتَـفْـعِلُنْ / فَـعِـلَاْتُنْ

٣– قال الشاعر:

لـيس من مـــات فـــاســـتـــراح بميت ... إنَّمـــا الميت مـــيّتُ الأحـــيـــاءِ

لَيْسَ مَنْ مَاْ / تَ فَسْتَرَاْ / حَ بِمَيْتِنْ ... إِنْنَمَلْ مَيْ / تُ مَـيْـيَـتُـلْ / أَحْـيَـاْئِيْ

/٥//٥/٥ | ///٥//٥ | ////٥/٥ ... /٥//٥/٥ | //٥//٥ | /٥/٥/٥

فَاْعِـلَاْتُنْ / مُتَفْعِلُنْ / فَعِـلَاْتُنْ ... فَـاْعِـلَاْتُنْ / مُـتَـفْـعِلُنْ / فَـاْ لَاْتُنْ

=(مَفْعُوْلُنْ)

– **أمثلة على بحر الخفيف (المجزوء):**

١–قال الشاعر مأمون الشناوي:

عُـــــدتَ يـايـوم مــــــولـدي   عُــــدتَ يـاأيـهــــا الـشــــقي

عُــدْتَيَــايَو / مَــمَــولِدي   عُــدْتَيَــاْ أيْ/ يُـهَش شَــقِي

/٥//٥/٥ ، //٥//٥   /٥//٥/٥ ، //٥//٥

فَـاعِـلاتُن / مُـتَـفْـعِلُن   فَـاعِـلاتُن / مُـتَـفْـعِلُن

٢– وقال الشاعر:

كُـلُّ خـطـب إن لـم تـكـو   نوا غـضـبـتُم يسـيـرُ

كُـلْـلُ خَـطْـبِـن/ إنْ لَـمْ تَـكُـو   نُوْ غَـضِـبْـتُمْ / يَسِـيْـرُوْ

/٥//٥/٥ ، /٥/٥//٥   /٥//٥/٥ ، //٥/٥

فَـاعِـلاتُن / مُـسْـتَـفْـعِلُن   فَـاعِـلاتُن / فَـعُـولُن

بحر المتقارب:

– **وزنه:**

فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ   فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ

– المفتاح الذي يضبطه، ويساعد على حفظه:

عن الـمتقـارب قـال الخليـلُ   فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ

– يأتي بحر المتقارب تامًّا، ومجزوءاً، فالتام يأتي – بحسب ما ورد في ميزانه – بأربع تفعيلات في الصدر، وبما يماثلها من تفعيلات في العجز على النحو المذكور في وزنه آنفاً.

– يأتي المجزوء بثلاث تفعيلات في الصدر، وبما يماثلها من تفعيلات في العجز على النحو التالي:

فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ   فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ

– ما يجوز في بحر المتقارب من تغييرات في تفعيلاته :

يجوز في بحر المتقارب(التام) التغييرات التالية:

– تأتي تفعيلة (فَعُوْلُنْ) على (فَعُوْ) وعلى (فَعُوْلْ) وعلى (فَعْ)

//٥/٥   //٥   //٥٥   /٥

يجوز في بحر المتقارب (المجزوء) التغييرات التالية:

– قد تأتي تفعيلة(فَعُوْلُنْ)على (فَعُوْ) وعلى (فَعْ) وعلى (فَعُوْلُ)

/ / ٥ / ٥ — / / ٥ — / ٥ — / / ٥ /

– أمثلة على بحرالمتقارب(التام) :

١– قال الشاعر :

حــــمـــــاة الديار عـليكم ســــلام — أبـت أن تـذلّ الـنـفـــــــوس الـكـرام

حُـمَـاْتَدْ / دِ يَاْرِيْ / عَلَيْ كُمْ / سَـلَاْمْ — أَبَتْ أَنْ / تُذَلْ لَنْ / نُفُــوْسُلْ / كِـــرَاْمْ

/ / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / / ٥ ٥ — / / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / / ٥ ٥

فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ / فَعُولْ — فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ / فَعُولْ

٢– قال محمود طه :

أخـي جــــــــاوز الـظـالمـون المدى — فـــحـقّ الجـــــهــــادُ وحقّ الفــــدا

أَخِيْ جَـاْ / وَزَ ظْظَاْ / لِمُوْنَلْ / مَـدَىْ — فَحَقْ قَلْ / جِهَاْدُوْ / وَحَقْ قَلْ / فِدَىْ

/ / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / / ٥ — / / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / / ٥

فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ / فَعُوْ — فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ / فَعُوْ

٣– قال الشاعر:

خليليّ عـــوجـــا على رسم دارٍ — خلت من سُليــمى ومن مــيَّــــهْ

خَلِيْلَيْ / يَعُـوْجَـاْ / عَلَى رَسْ / مِ دَاْرِنْ — خَلَتْ مِنْ / سُلَيْـمَـاْ / وَمِنْ مَيْ / يَهْ

/ / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ — / / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / ٥

فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ — فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ / فَعُوْلُنْ / فَعْ

– أمثلة على بحرالمتقارب (المجزوء) :

١– قال الشاعر :

لـنـا صـــــــــاحـبٌ لـم يـزل — يــعـــلّـلُـنـــا بــالأمـــلْ

لَنَاْ صَـاْ / حِـبُنْ لَمْ / يَزَلْ — يُـعَـلْـلِ / لُـنَـاْ بِـلْ / أَمَـلْ

/ / ٥ / ٥ | / / ٥ / ٥ | / / ٥ — / / ٥ / | / / ٥ / ٥ | / / ٥

فَـعُـوْلُنْ / فَـعُـوْلُنْ / فَـعُـوْ — فَـعُـوْلُ / فَـعُـوْلُنْ / فَـعُـوْ

أسئلة وتدريبات

١- اذكر مفتاح كل من بحري الكامل والخفيف.

٢- حدد ما يطرأ من تغيرات على تفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ) من بحر البسيط.

٣- حدد ما يطرأ من تغيرات على تفعيلة (فَعُوْلُنْ) من مجزوء بحر المتقارب.

٤- ضع الرموز العروضية للتفعيلات الآتية:

(فَاْعِلاْتُنْ - مُتَفْعِلُنْ - مُتْفَاْعِلاْنْ - فَعِلُنْ).

٥- ضع أمَام التفعيلات الآتية البحر الَذي يخصها، وحدِّد ما إذا كان تاماً أو مجزوءاً:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ	( )
مُتَفَاْعِلُنْ مُتَفَاْعِلُنْ مُتَفَاْعِلُنْ	مُتَفَاْعِلُنْ مُتَفَاْعِلُنْ مُتَفَاْعِلُنْ	( )
فَاْعِلاْتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلاْتُنْ	فَاْعِلاْتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلاْتُنْ	( )
فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ	فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ فَعُوْلُنْ	( )

٦- أمام كل بيت من الأبيات التالية البحر الذي يخصّه. اكتبها كتابة عروضية وحدِّد تفعيلاتها.

إذا الشّعبُ يوماً أراد الحياة
فلا بُدَّ أن يستجيبَ القدرْ (المتقارب)

ريمٌ على القاعِ بينَ البانِ والعلمِ
أحلَّ سفكَ دمي في الأشهرِ الحُرُمِ (البسيط)

يا نارُ إن لمْ تجلبي
ضيفاً فلستِ بناريَه (مجزوء بحر الكامل)

هذه ليلتي وحلم حياتيْ
بين ماضٍ من الزمانِ وآتِ (بحر الخفيف)

٨- عيِّن بحر كل بيت من الأبيات التالية :

- ودِّع هريرة إنَّ الركب مــــرتحلُ ... وهل تُطيق وداعــــاً أيُّهـــا الرَّجُلُ

- مالي سوى رُوحي وباذِلُ نفسه ... في حُبِّ من يهــواه ليس بمســرفِ

- إذا سُدتَ في معـــشرٍ فاتبعْ ... ســبيلَ الرّشادِ وكنْ مـخلصاً

- صُنتُ نفسي عمَّا يُدنِّسُ نفسيْ ... وترفّعتُ عن جَدَى كُلِّ جِبْسِ

تمَّ الجزء الثاني بعون اللهِ